القـدس

أمس واليوم وغداً

أسامة عبد الرحمن

المقدمة

ما من مدينة حظيت باهتمام الباحثين والمؤرخين مثل مدينة القدس ، وكذلك رجال اللاهوت والسياسة ، ويلاحظ أن جل الكتابات غير العربية لم يتحرر بعد من تأثير أساطير العهد القديم من الكتاب الذى يقدسه اليهود ، بل إن غالبيتها يداري هذه الأساطير ويخشى من أتباعها ، أو يسعى لتسويقها بطرق ملتفة للمجتمعات الغربية مع أن السمة الأساسية هي الحياد والصدق والصراحة وقد يكون هذا مسوغاً للمؤرخ ، وصحيح أن التاريخ خبر ورؤية لكن لا يجوز اعتماد الخبر المزيف ، كما لا يجوز أن تتحول الرؤية إلى تأويل ، لأن في التأويل تعطيل وهذه الأساطير كانت وما برحت ميداناً رحباً للقصاص والوعاظ ، والمبشرين والخطباء ،والكثيرين من هؤلاء في الغرب المسيحي ، وبين المسلمين المصابين بوباء الإسرائيليات ، وأشد ما يخشاه الإنسان أن الجهل المترافق مع التعصب يقود إلى مزالق خطرة جداً وقد تصدى مؤخراً واحد من السلفيينً ، للبحث في صحة الأحاديث المتعلقة بالصخرة ، وليت الأمر إقتصر على هذا ، بل خلص إلى القول بعدم صحة جميع الأحاديث ، وأن الصخرة حق لليهود ، أغتصبه المسلمون ،ولم ينتبه هذا الجاهل المخلط أنه حين قال بالاغتصاب أتهم النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ،حين صلى هناك بجميع الأنبياء يوم الإسراء ، وأن المعراج لم يكن من فوق الصخرة إلا لحكمةربانية ، أقلها أن طريق السماء يمر عبر القدس إلى مكة المكرمة والمدينة ، والتفريط فى أي جزء من القدس مقدمة للتفريط فى مكة والمدينة ، وشملت التهمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قدم إلى القدس فتسلمها محرراً وفتش عن موقع الصخرة ، وإلى جانبها أختط محراب المسجد العمري أو المسجد الأقصى وما من أمر أضر بالفكر الإسلامي خاصة فى التفسير والأخبار والقصص مثل الإسرائيليات.

وعجباً يفعلون , كيف أقدم بعضهم على تفسير كلام الله بكلام الحاخامات ، ومازالوا ،أوليس هؤلاء ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، والمصادر المعتمدة لتاريخ القدس القديم ، هي نتائج الحفريات الأثرية فيها ، وفي جميع أرجاء بلاد البحر المتوسط ، مع الآثار والكتب والمدونات إن توفرت وفحصت رواياتها ومحصت وفق قواعد البحث التاريخي ، وكانت القدس قد شهدت حفريات أثرية ، تولاها غربيون منذ عام ١٧٩٩م، فشوهت النتائج ، لأنها جرت على أيدي هواة ورجال لاهوت ، استهدفوا البرهنة على صحة مرويات العهد القديم وليس كشف الحقيقة ،ونحن هنا لا نبعى إلا الحقيقة فكل ما يعنينا هنا هو ذكر تاريخ القدس كما جرت أحداثة لا نبغى إثبات شئ عكس ما كان ولا نبتغى إلا وجه الله.

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول
القدس الموقع والتأسيس

الموقع:

تقع مدينة القدس وسط فلسطين تقريباً إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو ٧٥٠ م وعن سطح البحر الميت نحو ١١٥٠ م، وتقع على خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقاً، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالاً وتبعد المدينة مسافة ٥٢ كم عن البحر المتوسط في خط مستقيم و٢٢ كم عن البحر الميت و٢٥٠ كم عن البحر الأحمر، وتبعد عن عمان ٨٨ كم، وعن بيروت ٣٨٨ كم.

اليبوسيون بناة القدس الأولون:

اليبوسيون هم بطن من بطون العرب الأوائل، نشأوا في قلب الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية التي ينتمون إليها، إنهم أول من سكن القدس وأول من بنى فيها لبنة.

وعندما رحل الكنعانيون عن الجزيرة العربية رحلوا جماعات منفصلة وحطت هذه الجماعات في أماكن مختلفة من فلسطين فراحت تدعى أرض كنعان، فبعضهم اعتصم بالجبال، والبعض الأخر بالسهول والوديان ، وقد عاشوا في بداية الأمر متفرقين في أنحاء مختلفة، حتى المدن التي أنشئوها ومنها (يبوس، وشكيم، وبيت شان، ومجدو، وبيت إيل، وجيزر، واشقلون، وتعنك، وغزة)، وغيرها من المدن التي لا تزال حتى يومنا هذا، بقيت كل مدينة من هذه المدن تعيش مستقلة عن الأخرى، هكذا كان الكنعانيون في بداية الأمر، ولكن ما لبث أن اتحدوا بحكم الطبيعة وغريزة الدفاع عن النفس، فكونوا قوة كبيرة، واستطاعوا بعدئذ أن يغزوا البلاد المجاورة لهم، فأسسوا كياناً عظيماً بقى فترة طويلة.

كانت يبوس في ذلك العهد حصينة آهلة بالسكان، واشتهرت بزراعة العنب والزيتون كما عرفوا أنواعاً عديدة من المعادن منها النحاس والبرونز، كما عرفوا أنواع عديدة من الخضار والحيوانات الداجنة، كما عرفوا الخشب واستخدموه في صناعاتهم عن طريق الفينيقيين، كما اشتهروا بصناعة الأسلحة والثياب ولقد أسس الكنعانيون واليبوسيون حضارة كنعانية ذات طابع خاص، ورد ذكرها في ألواح تل العمارنة.

من التفاصيل التي وردت في رسائل العمارنة:

- علاقة مدينة القدس بملوك الفراعنة أمنحوتب الثالث والرابع إخناتون .
- احتواء أرشيف العمارنة على ٣٥٠ رسالة مكتوبة باللغة الأكدية أرسلت من ملوك المدن الكنعانية إلى أمنحوتب الرابع، وتتحدث في معظمها عن العلاقات بين الطرفين والمساعدات التي ترسل إلى تلك المدن من الحكومة المركزية في مصر .

- تحدثت إحدى الرسائل عن اتفاقية حدود بين القدس وكل من جاراتها شكيم في الشمال وبيت لحم في الجنوب، حيث تنظم هذه الاتفاقية نقاط الحدود بين هذه الممالك .

- وورد في إحدى هذه الرسائل كلمة أفرى وتعني الغريب، وتنطبق هذه الكلمة على أولاد يعقوب، ومنها بدأت عملية التزوير التي أطلق بموجبها على الشعب اليهودي في حين كانت أشد ما تكون وضوحا في الرسالة.

- ونلاحظ في رسائل أخرى عديدة اختلاف أو تعدد أسماء القدس .
- عثر أثناء الحفريات أيضاً على بقايا فرعونية في موقع كنيسة الست اثنى وهي عبارة عن نصوص مكتوبة على لوح فخاري تدل على وجود معبد كانت تمارس به طقوس العبادة الفرعونية .

- تعود معظم الأبنية والأنماط المعمارية لهذا العصر، حيث وجدت في موقع مدينة أوفل أي خارج سور باب المغاربة .

- دلت الأساسات والبقايا والأنماط المعمارية التي اكتشفت في أعوام (١٩٦١-١٩٦٢-١٩٦٣م على وجود أسوار بلغ ارتفاعها حوالي ١٠ أمتار، كما تدلل الكثير من الأبنية المكتشفة على وجود قصور وقلاع وحصون كانت قائمة في المدينة في تلك الحقبة .

-ومن أعظم المواقع المكتشفة وأبدعها في هذا العصر دار الحكومة في الجهة الجنوبية ، كما أن الكهوف التي اكتشفت في منحدرات جبل الزيتون ساعدت في التعرف على كثير من التماثيل والمواد الأثرية التي لم يتم نشرها ، بل حفظت في مجموعات توجد الآن في متحف لندن وقد ظهر بينهم ملوك عظماء بنوا القلاع وأنشئوا الحصون وأنشئوا حولها أسوارًا من طين، ومن ملوكهم الذين حفظ التاريخ أسماءهم، ملكي صادق ويعتبر هو أول من بنى فى موضع يبوس وأسسها، وكانت له سلطة على من جاوره من الملوك، حيث أطلق بنو قومه عليه لقب كاهن الرب الأعظم.

وكانت يبوس في ذلك العهد ذات أهمية من الناحية التجارية ومن أنشط المدن الكنعانية، لأنها واقعة على طرق التجارة، كما كانت ذات أهمية من الناحية الحربية؛ لأنها مبنية على ٤ تلال وكانت محاطة بسورين، وحفر اليبوسيون تحت الأرض نفقاً يمكنهم من الوصول إلى عين روجل التي سميت الآن عين أم الدرج.

كذلك كان فيها واد يعرف بواد الترويين يفصل بين تل أوفل وتل مدريا - عندما خرج بنو إسرائيل من مصر، ونظروا أرض كنعان ورأوا فيها ما رأوا من خيرات راحوا يغيرون عليها بقصد امتلاكها قائلين: إنها هي الأرض التي وعدهم الله بها.

وبذلك أيقن الكنعانيون الخطر القادم فطلبوا العون من مصر؛ لأن بني إسرائيل كانوا كلما احتلوا مدينة خربوها وأعملوا السيف فيها، أما المصريون فقد كانوا يكتفون بالجزية، فلا يتعرضون لسكان البلاد وعاداتهم ومعتقداتهم ولم يتوان المصريون في مد يد العون إلى الكنعانيين، فراحوا يدفعوا الأذى عنهم ونجحوا في صد الغارات والكنعانيين ضد العبريين.

ومن الجدير ذكره أن هناك بين ألواح تل العمارنة التي وجدت في هيكل الكرنك بصعيد مصر لوح يستدل منه على أن عبد حيبا أحد رجال السلطة المحلية في أورسالم أرسل عام ١٥٥٠ ق.م إلى فرعون مصر تحتموس الأول رسالة طلب إليه أن يحميه من شر قوم دعاهم في رسالته بالخبيري. واختار اليبوسيون لمدينتهم مكانًا حصينًا يرتفع عما حوله من الأرض، وشيدوا لها حصنا لحمايتها، واختاروا لها أيضًا موقعا حيويا؛ ليتيسر لهم الانتفاع بمميزات تجارية وخيرات طبيعية تتيحها مدينة تقبع في هذا المكان، فبنيت القدس (يبوس) – مع مدن كنعانية أخرى – على طريق المياه بين الشمال والجنوب، وأُقيمت على مرتفع الضهور وهو التل الجنوبي الشرقي في القدس القديمة القائمة الآن داخل السور قرب عين ماء جيحون (نبع العذراء)، وحُفر تحت الجبل نفق تُنقَل من خلاله مياه النبع إلى الحصن.

وليس بين أيدينا وصف محدد لشكل المباني والشوارع ولا مواد البناء التي أُقيمت بها يبوس القديمة، لكن الحفائر في مدن فلسطين القديمة دلت على أن بيوتها كانت صغيرة متراصَّةً، وعادة تُقام في سفح تل، أو هي نفسها كهف في سفح التل، وترتفع البيوت طابقاً واحداً، وهي إما من الطين أو الحجر العادي أما شوارع المدينة من داخلها فهي ضيقة جدًا وملتوية، ولا توجد بها ميادين، وعند مدخلها السوق حيث تقام المحكمة، وتعقد العقود، وتعلن التشريعات.

وقد أُسند إلى ملك يبوسي يدعى ملكي صادق أنه وسّع القدس وزاد في مبانيها في القرن العشرين قبل الميلاد تقريباً، وأقام على التل الجنوبي المعروف بجبل صهيون قلعة للدفاع عن مدينته، التي صار اسمها حينئذ أوروسالم بدلاً من يبوس.

التأسيس:

إن أقدم جذر تاريخي في بناء القدس يعود إلى اسم بانيها وهو إيلياء بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وإيلياء أحد أسماء القدس وقيل أن مليك صادق أحد ملوك اليبوسيين وهم أشهر قبائل الكنعانيين أول من اختط وبنى مدينة القدس وذلك سنة ٣٠٠٠ ق.م وسميت بيبوس وقد عرف مليك صادق بالتقوى وحب السلام حتى أُطلق عليه ملك السلام، ومن هنا جاء اسم مدينة سالم أو شالم أو أور شالم بمعنى دع شالم يؤسس، أو مدينة سالم وبالتالي فان أورشليم كان اسماً معروفاً وموجوداً قبل أن يغتصب الإسرائيليون هذه المدينة من أيدي أصحابها وسماها الإسرائيليون أيضا صهيون نسبة لجبل في فلسطين.

التوسع والاعمار:

- في عهد النبي سليمان عليه السلام اتسعت القدس فبنى فيها الدور وشيد القصور وأصبحت عاصمة للدولة، امتدت من الفرات إلى تخوم مصر ويعتبر هيكل سليمان أهم وأشهر بناء أثري ضخم،شيده الكنعانيون فيها ليكون معبداً تابعا للقصرلكنه محي تماماً ودمرت آثاره ولم يعد له أثر.

- قام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعدة إصلاحات فيها. - سنة ٧٢ هـ بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة والمسجد الأقصى. --سنة ٤٢٥ هـ شرع الخليفة الفاطمي السابع علي أبو الحسن في بناء سور لمدينة القدس بعد بناء سور الرملة، وفي العصر الفاطمي بني أول مستشفى عظيم في القدس من الأوقاف الطائلة.

-سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م في زمن المماليك غدت القدس مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي.
- سنة ١٥٤٢ م جدد السلطان سليمان القانوني السور الحالي الذي يحيط بالمدينة القديمة ويبلغ طوله ٤٢٠٠ م وارتفاعه ١٢ م.

التسمية:

أوّل اسم ثابت لمدينة القدس هو أورسالم الذي يظهر في رسائل تل العمارنة المصرية، ويعني أسس سالم؛ وسالم أو شالم هو اسم الإله الكنعاني حامي المدينة، وقيل مدينة السلام وقد ظهرت هذه التسمية مرتين في الوثائق المصرية القديمة: حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م و١٣٣٠ ق م ثم ما لبثت تلك المدينة، وفقًا لسفر الملوك الثاني، أن أخذت اسم يبوس نسبة إلى اليبوسيون، المتفرعين من الكنعانيين، وقد بنوا قلعتها التي تعني بالكنعانية مرتفع وتذكر مصادر تاريخية عن الملك اليبوسي ملكي صادق أنه هو أول من بنى يبوس أو القدس، وكان محبًا للسلام، حتى أُطلق عليه ملك السلام ومن هنا جاء اسم المدينة وقد قيل أنه هو من سماها بأورسالم أي مدينة سالم.

ظهر الاسم أورشليم أوّل ما ظهر في الكتاب المقدس، وفي سفر يشوع تحديدًا، ويقول الخبراء اللغويون أنه عبارة عن نحت، أي دمج، لكلمتيّ أور، التي تعني موقع مخصص لعبادة الله والجذر اللغوي س ل ، الذي يعني على ما يُعتقد سلام، أو يشير إلى إله كنعاني قديم اسمه شاليم، وهو إله الغسق.

أطلق العبرانيون على أقدم الأقسام المأهولة من المدينة اسميّ مدينة داود وصهيون، وقد أصبحت هذه الأسماء ألقاب ونعوت للمدينة ككل فيما بعد بحسب التقليد اليهودي وحُرّف اسم القدس من قبل الإغريق خلال العصر الهيليني

فأصبح يُلفظ هيروسليما، وعند سيطرة الإمبراطورية الرومانية على حوض البحر المتوسط، أطلق الرومان على المدينة تسمية مستعمرة إيليا الكابيتولينيّة سنة ١٣١ للميلاد في بعض الرسائل الإسلامية باللغة العربية من القرون الوسطى، خصوصاً في العهدة العمرية، وتذكر المدينة باسم إلياء أو إيليا وهو على ما يبدو اختصار لاسمها اللاتيني ذُكرت المدينة في فترة لاحقة من القرون الوسطى باسم بيت المقدس، وهو مأخوذ من الآرامية بمعنى الكنيس ولا يزال هذا الاسم يُستخدم في بعض اللغات مثل اللغة الأردية، وهو مصدر لقب مقدسي الذي يطلق على سكان المدينة.

أما اسم القدس الشائع اليوم في العربية خاصة لدى المسلمين فقد يكون اختصارًا لاسم بيت المقدس أو لعبارة مدينة القدس وكثيراً ما يُقال القدس الشريف لتأكيد قدسية المدينة أما السلطات الإسرائيلية فتشير في إعلاناتها إلى المدينة باسم أورشليم القدس.

أسماء القدس عبر التاريخ:

أسماء القدس كما وردت في السجلات والوثائق التاريخية عبر العصور -:إيفن - مدينة الأنهار - مدينة الوديان - راشاليم - يور شالم -يور سلمايا – يهوستك - شهر شلايم - نور مستك - يبوس جلعاد - نور السلام - نور الغسق – يارة – كيلة– إريانة -جبستي – يبوس –أوفل – ميلو – أكرى – أنتوخيا - إيليا كابتولينا - إيليا كونستنبل – إيليا - بيت المقدس –القدس والأسماء المذكورة هنا وردت في وثائق وسجلات وجدت في أنحاء كثيرة من العالم؛ وهو ما يدل على اختلاط القدس بالحضارات المختلفة عبر العصور، وهذه الأسماء إما أن تكون كنعانية أو فارسية أو يونانية أو رومانية أو بيزنطية أو اسلامية.

يبوس، اورسالم، ايليا، بيت المقدس، زهرة المدائن، القدس الشريف، مدينة السلام، هي كلها أسماء لمدينة واحدة هي القدس، تسمت بها عبر تاريخها الطويل الذي يمتد لآلاف السنين، ولكن هذه المدينة هي أبعد المدن عن السلام إذ تعرضت لأكثر من أربعين محتلاً ودمرت اكثر من ٣٧ مرة وها هي اليوم ترزح تحت نير الاحتلال الاسرائيلي منذ ٦٩عاماً، وكانت أكثر المسائل تعقيداً وخلافاً بين المتفاوضين الفلسطينيين والاسرائيليين في كامب ديفيد.

التركيبة السكانية:

أشارت الإحصاءات الإسرائيلية الرسمية الصادرة نهاية عام ٢٠٠٠ إلى أنّ تعداد السكان في المدينة ارتفع بنسبة ٢% من إجمالي السكان البالغ ٦٤٦,٣ ألف نسمة، بينهم ٤٣٦,٧ ألف يهودي بنسبة ٦٧,٦%، في حين بلغ عدد السكان العرب ٢٠٩,٥ آلاف عربي بنسبة ٣٢٤% وقد تبيّن في إحصائية أخرى عن نفس السنة أن نسبة السكان من اليهود تتراجع تدريجيًا بينما نسبة العرب في ازدياد مطّرد، ويرجع ذلك إلى أن نسبة الولادات أعلى عند العرب وإلى هجرة بعض اليهود إلى مدن وبلدان أخرى كذلك أفادت نفس الدراسة أن حوالي ٩% من جمهرة البلدة القديمة البالغة ٣٢,٤٨٨ نسمة كانوا يهودًا بلغت نسبة الكثافة السكانيّة بالمدينة في نهاية عام ٢٠٠٥ حوالي ٥,٧٥٠٤ نسمة في الكيلومتر المربّع ١٤,٨٩٣٥ نسمة/ميل مربّع، وفي نهاية سنة ٢٠٠٦ أظهرت إحصائية أعدّتها مؤسسة إسرائيلية للدراسات حول مدينة القدس ان عدد سكان القدس بلغ ٧٣٣ ألف شخص بينهم ٤٨١ ألف يهودي و٢٥٢ ألف فلسطيني يعيشون خصوصاً في الأحياء الشرقية من المدينة وفي شهر ديسمبر من سنة ٢٠٠٧، وصل عدد سكان القدس إلى ٧٤٧,٦٠٠ نسمة، ٦٤% منهم يهود و ٣٢% مسلمين و ٢% مسيحيين.

يخوض الفلسطينيون والإسرائيليون حرباً ديمغرافيّة في القدس، حيث يسعى كل طرف إلى زيادة عدد السكان المنتمين إلى عرقه ليضمن هيمنته على المدينة، وتعمل الحكومة الإسرائيلية كما تقول الدكتورة سارة هيرشكوبيتس رئيسة قسم التخطيط الاستراتيجي في بلدية القدس على ألا تتعدى نسبة العرب بالمدينة ٢٨% وتحاول الحكومة الإسرائيلية زيادة عدد اليهود في المدينة بطرق عدة، منها على سبيل المثال العمل على إحلال اليهود محلّ العرب الذين هدّمت منازلهم بحجّة البناء دون تصريح وتشير إحصائيات بيت الشرق لعام ١٩٩٩ في هذا الصدد إلى هدم أكثر من ألفيْ منزل منذ عام ١٩٦٧، مما خلق ظروفاً صعبة للفلسطينيين حيث يسكن معظمهم في منازل مكتظة ومن الوسائل الأخرى التي تتّخذها إسرائيل لإجبار المقدسيّين على الهجرة من القدس، عدم منحهم تصاريح بناء إلا فيما ندر، وتسهيل بناء المنازل لليهود المهاجرين وفي سنة ٢٠٠٥، قدم المدينة ٢,٨٥٠ مهاجر يهودي جديد من الولايات المتحدة وفرنسا ومن بعض دول الإتحاد السوڤيتي السابق، وبنهاية السنة ذاتها تبيّن أن ١٦,٠٠٠ من السكان غادر المدينة، إلا أن جمهرة المدينة ما زالت في ازدياد بفضل ارتفاع نسبة الإنجاب بين الأهالي العرب واليهود الحريدية ويصل معدل الخصوبة الكلي في القدس إلى ٤٠٢، وهو أعلى من ذاك الخاص بتل أبيب ١٩٨والمعدل الوطني حتى،الذي يصل إلى ٢٩٠يهود حريديون في القدس يطلعون على ملصقات إخبارية وبلغت الزيادة الصافية للسكان في سنة ٢٠٠٠، بعد حساب الولادات والوفيات والمهاجرين من وإلى المدينة، ١٢٦٠٠ نسمة، كان نصيب اليهود منها ٢٩٠٠ نسمة، في حين بلغت الزيادة العربية ٩٧٠٠ وبهذا كانت نسبة نمو السكان اليهود في القدس هي ٠٧% بينما كانت عند السكان العرب ٤٧% وفي سنة ٢٠٠٥ إزداد عدد السكان بحوالي ١٣,٠٠٠ نسمة، أي قرابة ١٨%، وهي نسبة مشابهة لنسبة معدّل النمو السكاني في إسرائيل في ذلك العام.

إلا أن ما مميزها هو التباين في التركيبة السكانيّة والعرقيّة، فقرابة ٣١% من الجمهرة اليهودية تألفت من أولاد دون سن الخامسة عشر، بالمقابل فإن هذه النسبة وصلت لحوالي ٤٢% عند السكان العرب، ويتفق ذلك مع الدراسات التي أظهرت تراجع عدد اليهود في القدس خلال العقود الأربع الماضية، واتجاه معظمهم إلى المدن الساحلية والضواحي عادت نسبة اليهود الحريدية في المدينة إلى الارتفاع بحلول عام ٢٠٠٩، حيث تبيّن في إحدى الإحصائيات أن ٥٩,٩٠٠ تلميذ من أصل ١٥٠,١٠٠، أو ٤٠% منهم، يطلبون العلم في المدارس الرسميّة العلمانيّة والدينيّة على حد سواء، بينما ٩٠,٢٠٠ تلميذ أو ٦٠% من المجموع الأصلي، يتلقون دراستهم في مدارس حريدية خاصة.

القدس الغربية:

أقدمت إسرائيل بعد اعلان قيامها عام ١٩٤٨، على تدمير معظم القرى الواقعة غرب القدس، من أهمها: المالحة، دير ياسين، عين كارم، لفتة، والقسطل وأقامت مكانها العديد من المستوطنات التي أصبحت تشكل فيما بعد مناطق القدس الغربية، وهي: گفعات شاؤول، بيت هيكرم، جبل هرتزل، كريات هيوفيل، عميق زيفائيم، يمين موشيه، ربحاميا، نحلاؤوت، محانيه يهودا، مئة سيعاريم، روميما وگفعات رام.

الباب الثانى
أهمية القدس لأصحاب الديانات

الأهمية الدينية للمدينة:

القدس مدينة ذات أهميّة دينيّة كبرى عند أتباع الديانات الثلاث: اليهود والمسيحيون والمسلمون وأظهرت إحدى الإحصائيات من سنة ٢٠٠٠ أن القدس تحوي حاليًا ١٢٠٤ كنيسات، ١٥٨ كنيسة، و٧٣ مسجدًا، وبعض دور العبادة هذه يُعتبر من بين أكثر المواقع تقديساً عند أتباع هذه الديانة أو تلك، إن لم يكن أقدسها في بعض الأحيان، لذا فقد كان انتهاك حُرمة إحدى هذه الدور من بين الأسباب التي أدّت إلى حدوث نزاعات في المدينة والمنطقة.

أهمية القدس عند المسلمين:

القُدْس بالعربيّة هي بيت المقدس أو القدس الشريف أو أولى القبلتين، وهي أكبر المدن الفلسطينيّة من حيث المساحة وتعداد السكّان، والأهم دينياً واقتصادياً وهي عند العرب والمسلمين عاصمة فلسطين المستقلّة، تتوسّط القدس المنطقة المحاطة بالجبال بين البحر الأحمر والبحر الميت، وضمن سلسلة جبال الخليل وهى مدينة لها قداستها عند المسلمين والمسيحيين واليهود أي الدّيانات السماويّة الثلاث، فلليهود تعود أهميّتها بعد فتح الملك داود عليه السلام وجعلها عاصمة مملكته وهذا منذ عام ١٠٠٠ ق.م، ثمّ قيام ابنه الملك سليمان عليه السلام ببناء الهيكل، وحتى الآن يتخذ اليهود ذريعة البحث عن هذا الهيكل لهدم الكثير من المباني المهمة للتنقيب تحتها.

ومن الآثار التي يعتبرها اليهود خاصّة بهم حائط البراق الّذي سمّوه حائط المبكى؛ حيث يقفون قربه ويبكون أمّا عند المسيحيين فالمدينة أيضاً مُقدّسة؛حيث إنّ المسيح صلب(فى اعتقادهم)على أحد تلالها المسمّاة جلجثة في عام ٣٠ للميلاد، وذلك بعد أن وجدت القديسة هيلانة الصليب بعد ٣٠٠ سنة كما ذكر في العهد الجديد، ومن الآثار المهمّة في الديانة المسيحيّة كنيسة القمامة التى يسمونها كنيسة القيامة .

وللمسلمين نظرة خاصّة للقدس؛ حيث تعد المكان الأقدس بعد مكّة المكرمة والمدينة المنورة؛فهي أوّل وجهة توجّه لها المسلمون في صلاتهم لقرابة عام حتى التوجه إلى الكعبة ونعود إلى القدس حيث الصخرة المقدّسة فقد عرج الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وسلم، من عندها ومن الأماكن المهمّة في القدس للمسلمين كافّةً مسجد قبّة الصخرة، والمسجد القبلي (المسجد الأقصى) الّذي بُني في العهد الأموي، وحائط البراق.

وتتجلّى أهميّة القدس في قصة الإسراء والمعراج،عندما أسري بالرسول الكريم محمّد عليه الصلاة والسلام إلى القدس، فأمَّ الصلاة بكل الرسل والأنبياء، ثم عرج إلى السماء السابعة وفي هذه الحادثة فرضت الصلاة وكانت القُدْس قبلتها، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فهذا يعني أنّ المسجد الأقصى وما حوله أرض مباركة، ويتشارك المسلمون مع الديانات الأخرى في تبجيل أنبيائهم الّذي جاء محمّد عليه الصلاة والسلام ليتمم رسالتهم، فكما أن اليهود يقدّسون القدس لأنها أرض داود وسليمان عليه السلام يفعل المسلمون كذلك، وكما يقدّس المسيحيون القدس لأنها أرض المسيح يفعل المسلمون ذلك، فتتضاعف أهميّة القدس مهبط الملائكة والوحي، ويحشر الناس فيها يوم القيامة.

يعود تاريخ الوجود العربي والإسلامي في القدس إلى سنة ٦٣٨ م عندما فتحها العرب بقيادة الخليفة عمر بن الخطاب وظلت القدس تحت السيطرة العربية ثم الإسلامية ما خلا فترات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عندما تمكن الصليبيون من تشكيل مملكة القدس الصليبية بها حتى وقوعها بالكامل فى يد الكيان الصهيونى في حرب ١٩٦٧.

تعاقب على المدينة بعد تأسيسها على أيدي اليبوسيين العرب أمم شتى، وأخذها داوود من الكنعانيين حوالي ١٠٠٠ ق.م، ثم دمرها القائد الروماني تيطس.

فتح العرب المسلمون لأسباب دينية واستراتيجية بعد انتصارهم على الرومان في معركة اليرموك وطلب أهلها الصلح والأمان على أن يتولى ذلك الخليفة عمر بن الخطاب ووصل الخليفة عمر إلى القدس، ووقع العهدة العمرية لبطريرك المدينة صفرونيوس وضمنها شرطاً طلبه البطريرك وهو ألا يسكن اليهود فيها.

حافظت على طابعها العربي الإسلامي حتى إبان احتلال الفرنجة لها ١٠٩٩-١١٨٧ واستعادها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م واستولى عليها العثمانيون عام ١٥١٧ وأعاد سليمان القانوني بناء سور المدينة وطوله أربعة كيلو مترات وارتفاعه اثنا عشر متراً وله ثمانية أبواب.

بنى المسلمون العديد من القباب والمآذن والأروقة والأبواب والسبل في صحن الصخرة المشرفة وبجوارها وفي الحرم وحوله وبنوا في مختلف العهود الإسلامية مساجد بلغت ٣٤ مسجداً معظمها داخل المدينة القديمة وعدداً كبيراً من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية، كالزاوية النقشبندية للحجاج القادمين من أوزبكستان، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية للحجاج القادمين من أفغانستان، ولكل زاوية أوقاف ومسجد وغرف للنوم.

أنشأ المسلمون مدارس لطلب العلم، بلغ عددها ٥٦ مدرسة للمسلمين من أهل المدينة ومن المشرق والمغرب، وأصبحت المدينة غنية بالأبنية والنقوش والزخارف الإسلامية والقناديل النادرة التي لا مثيل لها على الإطلاق

وقد أسرى الله بالنبي محمد إليها حيث جاء في القران: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ وروي عن النبى ص قوله: إن الله خص فلسطين بالتقديس وجعلها النبي قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين.

وبنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة، ورصد لبنائه خراج مصر لمدة سبع سنوات ونقش أسمه على قبة الصخرة المشرفة مع تاريخ البناء سنة ٧٢ هـ وتعتبر قبة الصخرة والمسجد الأقصى من أهم وأقدم المعالم العربية الإسلامية في المدينة جزءاً أساسياً من التراث الإسلامي ومن أكثره قدسية وصلى صلاح الدين في المسجد الأقصى بعد أن تم الفتح على يديه ونقل إليه المحراب الذي سمي باسمه من الجامع الأموي بحلب وبقي فيه إلى أن أحرقه اليهود في محاولة إحراق الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩.

والأيوبيون هم أيضاً من رمم جدران الحرم والأتراك العثمانيون هم من جهزوا الكسوة بالقاشاني الملون على أرضية زرقاء كان قبلها مزيناً بالفسيفساء التي اشتهرت بها المدرسة السورية والأتراك أيضًا هم الذين بنوا سور المدينة القديمة، مما جسّد مساهمة الأمة الإسلامية بأسرها في بنائه والمحافظة عليه وعلى تاريخ القدس العريق وطابعها العربي الإسلامي. إن تاريخ القدس يثبت أنها مدينة عربية أسسها العرب، ويذكر المؤرخ هنري بريستيد أن الكنعانيين من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ عام ٢٥٠٠ ق. م وهذا سبب تسمية فلسطين بأرض كنعان، وهي التسمية التي ذكرتها التوارة وبعد تأسيسها احتلها داوود، ودمرها الرومان ثم شيدوها، وازدهرت في العهد الإسلامي، فهي بحكم التأسيس والبناء والتاريخ مدينة عربية إسلامية فالعرب هم الذين بنوها وعمروها، انطلاقاً من حق الملكية إلى أن جاء الاحتلال الإسرائيلي للقدس الغربية عام ١٩٤٨ والاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية عام ١٩٦٧.

إن تاريخ القدس لا ينفصل عن تاريخ فلسطين وعروبتها والأطماع الاستعمارية واليهودية في أهميتها الدينية والاستراتيجية والسياسية والتجارية منذ القدم وكانت القدس جزءاً لا يتجزأ من سورية والوطن العربي شاركت في صنع أحداثه وتراثه وحضارته فالتحالف بين الاستعمار والصهيونية في غزو البلاد المقدسة لم يكن مسالة دينية إنما مصلحة استعمارية لاستغلال ثروات المنطقة والهيمنة عليها ومحاربة العروبة والإسلام، بالرغم من أن المسلمين حافظوا على حقوق الطوائف المختلفة وتراث المدينة الحضاري فكانت فلسطين عبر التاريخ ، جزءاً لا يتجزأ من سورية وبلاد الشام إلى أن جاءت اتفاقية سايكس بيكو.

اعتبر المؤرخ الإغريقي هيرودوتس فلسطين جزءاً من ديار الشام. وأجمع مؤرخو الفرنجة إبان الحروب الصليبية أن فلسطين ديار شامية وذكر مجير الدين الحنبلي صاحب كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، أن الأوائل قسموا الشام خمسة أقسام: الشام الأولى فلسطين وأوسط بلدها الرملة، والشام الثانية حوران، ومدينتها العظمى طبرية، والشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق، والشام الرابعة حمص، والشام الخامسة قنسرين ومدينتها العظمى حلب وبعكس توصيات لجنة كينج كرين الأمريكية لتقصي الحقائق وسبر رغبات السكان المحليين، سلخت الدولتان الاستعماريتان بريطانيا وفرنسا فلسطين عن الوطن الأم سوريا كمقدمة لتحقيق المشروع الصهيوني في الديار المقدسة.

حكم المسلمون مدينة القدس ثلاثة عشر قرناً وكانت اللغة العربية، لغة القرآن الكريم هي السائدة، حتى إبان الحكم العثماني فالحضارة التي عرفتها القدس ترجع إلى فترة الحكم الإسلامي فيها وكان سكان المدينة عرباً لساناً وحضارةً واليهود طارئون على المدينة، استوطنوا خارجها.

وتعتبر الآثار المسيحية ذات أهمية بالغة لأنها آثار السيد المسيح والحواريين والشهداء، ولا مثيل لها في أي بقعة من بقاع العالم ومنها: كنيسة القيامة التي تضم قبر السيد المسيح، وطريق الآلام وما شيد فيها من كنائس فالمدينة القديمة مليئة بالمساجد والكنائس والمدارس والزوايا والمقابر، وأسندت حراسة كنيسة القيامة، وهي أعظم المقدسات المسيحية في العالم إلى أسرتين مسلمتين مقدسيتين ومعهما مفاتيح الكنيسة.

فضائل بيت المقدس بالنسبة للمسلمين:

أهمية بيت المقدس : أن فضائل بيت المقدس كثيرة جداً منها :

- أن الله تعالى وصفه في القرآن بأنه مبارك قال تعالى : سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله والقدس هي مما حول المسجد وبهذا تكون مباركة .

- أن الله تعالى وصفها بأنها مقدسة في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : (يا قومِ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) .

- فيها المسجد الأقصى والصلاة فيه تعدل مائتين وخمسين صلاة .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بيت المقدس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو ، وليوشكن أن يكون [١]للرجل مِثْل شطن فرسه من الأرض حيث يَرى منه بيت المقدس ; خير له من الدنيا جميعاً.

والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة ، فتكون الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة .

ـ أن الأعور الدجال لا يدخلها لحديث وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس[١] .

ـ والدجال يقتل قريباً من هناك يقتله المسيح عيسى بن مريم [٢] .

كما جاء في الحديث (يَقتل ابنُ مريم الدجالَ بباب لُدّ) ولدّ مكان قرب بيت المقدس وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) .

ـ أنه قبلة المسلمين الأولى ، كما جاء عن البراء رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً [٣] .

ـ أنه مهبط الوحي وموطن الأنبياء وهذا معلوم مقرر وأنه من المساجد التي تُشد الرحال إليها فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام

ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى[١] .

أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمّ الأنبياء في صلاة واحدة في الأقصى في حديث طويل فحانت الصلاة فأممتهم[٢] فلا يجوز السَّفر إلى بقعة في الأرض بقصد التعبّد فيها إلا هذه المساجد الثلاثة .

ثانياً :وبناء يعقوب عليه السلام للمسجد الأقصى لا يعني أن اليهود أحق بالمسجد من المسلمين حيث إن يعقوب كان موحداً واليهود مشركون فلا يعني أن أباهم يعقوب إن بنى المسجد فهو لهم بل هو بناه ليصلي فيه الموحدون ولو كانوا غير أبنائه ، ويمنع منه المشركون ولو كانوا أبناءً له ؛ لأن الأنبياء دعوتهم ليست عرقية بل قائمة على التقوى .

ثالثاً : أما قول : وإن النبي صلى الله عليه وسلم أمّ الأنبياء السابقين في الصلاة فمما يؤكد وحدة الرسالة والوحي الإلهي فهذا صحيح من جهة أصل دين الأنبياء وعقيدتهم لأن الأنبياء كلهم يستقون من مصدر واحد وهو الوحي وعقيدتهم جميعا هي عقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبادة وإن اختلفت أحكام شرائعهم من جهة التفاصيل ، ويؤكد هذا نبينا صلى الله ·عليه وسلم بقوله أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لِعَلاَّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد[1] ومعنى إخوة لِعلاَّت : الإخوة لأب غير الأشقاء وهم الإخوة من الضرائر.

رابعاً :ليس لليهود حصة في القدس ؛ لأن الأرض وإن سكنوها من قبل فإنها قد صارت للمسلمين من وجهين :

١- أنّ اليهود كفروا ولم يعودوا على دين المؤمنين من بني إسرائيل ممن تابعوا وناصروا موسى وعيسى عليهما السلام .

٢- أننا نحن المسلمين أحقّ بها منهم ، لأن الأرض ليست لمن يعمرها أولاً ولكن لمن يقيم فيها حكم الله لأن الله خلق الأرض وخلق الناس ليعبدوا الله عليها ويُقيموا فيها دين الله وشرعه وحكمه ، قال تعالى : (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)لذلك لو جاء قوم من العرب ليسوا على دين الإسلام فحكموها بالكفر يُقاتلون حتى يرضخوا فيها لحكم الإسلام أو يُقتلوا فليست القضية قضية شعوب وأعراق وإنما قضية توحيد وإسلام .

وتحتلّ مدينة القدس مكانة كبيرة لدى الدارسين والباحثين والمؤرخين في جميع العصور، فمنذ عهد الإسلام الأول حيث أولاها مكانة خاصة (بالتوجه للصلاة إليها) فكانت قبلة المسلمين الأولى صلى إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام سبعة عشر شهراً ثم نزل القرآن بشأن تحويل القبلة إلى البيت الحرام:

{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ} وقد ورد ذكرها سبع مرات بما يفيد البركة والقداسة، ثم الآية الهامة والصريحة بهذا الصدد في سورة الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} وقد وردت فيها عدة أحاديث صحيحة السند في المصنفات المعتمدة من كتب الحديث كمصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق الصنعاني ومسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وغيرها من الكتب، بل إنّ هناك عدة مصنفات جمعها مؤلفوها خصيصًا لفضائل بيت المقدس، تفيد بركتها وقداستها وأنها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأرض المحشر والمنشر ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ثم إنّ الرسول صلّى الله عليه وسلم قد صلى بها إماماً بالأنبياء جميعاً، وهذا رمزٌ هام وعميق له أثر كبير يضفى قداسة على هذه المدينة، ثم إنّه قد عُرِج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى من فوق قبة الصخرة المشرفة.

كل هذه الآيات والأحاديث والروايات غرست مكانة وقداسة وبركة هذه المدينة في قلوب أبناء أمّة الإسلام، وكانت زاداً كبيراً لخوض الصراع مع المحتل الغاشم.

لذلك عمل الاحتلال القديم والحديث -الصليبي الحاقد مسبقًا الذي جعل من المسجد الأقصى مستودعًا للقمامة- واقترف الكثير من الجرائم بحق أبناء الإسلام والمسلمين في فلسطين، ثم الاحتلال الأوروبيّ الحديث والمعاصر الذي ورث وتشرّب كلّ أدبيات الحروب الصليبية في مصر وبلاد الشام، ثم الهجمة العسكرية التي سبقتها هجمات فكرية وسياسية على بلدان العالم العربي والإسلامي، وبالذات منطقة القلب منه فلسطين.

وقد أفرز هذا الاحتلال حركة فكرية وعلمية تمثّلت فى العلماء من باحثين ودارسين ومؤرخين وسياسيين كما حدث في الحملة الفرنسية على بلاد الشام ومصر وقد عرفت تلك الفئة بالمستشرقين، الذين أنيطت بهم وظيفة هامة داخل دوائر الاحتلال، وقدّموا من خلالها فوائد جليلة كان لها أثرٌ كبير على بقاء الاحتلال ودعمٍ كبير لقوته في البلدان المستعمرة، هذه الفئة من المستشرقين أخذت تبحث وتنقّب في تراثنا العربي الإسلامي بنوايا مسبقة غير سليمة، مما حدا بها ان تصل لنتائج غير حميدة وغير صحيحة في الأغلب لأنها كانت بغرض التشكيك في الروايات والأحاديث التي غرست فينا حبّ بيت المقدس وعززت مكانته، وقد حدا بالبعض منهم أنْ يتجرّأ على التفسير ويقوم بليّ أعناق النصوص ليقرّر جهْلاً وعبثاً قراءة مبتسرة لبعض العبارات ليقول إنّ المسجد الأقصى ليس هو المقصود المتعارف عليه لدى المسلمين، بل هو في السماء، وهذا غيض من فيض مقولاتهم فقد أخذ هؤلاء المستشرقون يبحثون وينقّبون في تراثنا العربي الإسلاميّ من مخطوط ومطبوع؛ ليستطيعوا أنْ ينفذوا بواسطته إلى التشكيك والتقليل من أهمية مدينة القدس في الإسلام، وأنها فقط مقدسة لدى اليهود، وأنّ كل الأحاديث التي وردت جاءت متأخرة في مصنفات الحديث إلى آخر تلك الترهات.

أهمية المدينة عند المسيحيين:

للقدس مكانة مرموقة عند المسيحيين، فهي المكان الذي يحجون إليه، وبها ولد السيد المسيح، ولهم بها ارتباط روحي عال جداً فقد عاش المسيحيون فيها منذ قرون عديدة تعود إلى زمن السيد المسيح فعندهم ما يسمى بدرب الآلام وهو مقدس عند كل الطوائف المسيحية لاعتقادهم أن السيد المسيح قد صار فيه حاملاً صليبه عندما اقتاده الجنود الرومان لصلبه تنفيذاً لأوامر الوالي الروماني بيلاطس.

ويقودل د. ميخائيل مكسي إسكندر في كتابه القدس وبيت لحم- دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية يقول : وقد تعرضوا أي المسيحيين لمتاعب كثيرة هناك ولا سيما من اليهود ومن غيرهم، وقد اغتصب الصليبيون في الغزو الأوروبي لبيت المقدس أملاك المسيحين العرب وكنائسهم، إلى أن أرجعها لهم القائد العربي صلاح الدين الأيوبي، الذي وثق في أمانتهم وأعطاهم دير السلطان، وكانت شئونهم الروحية تدار بمعرفة المطرانية السريانية، إلى أن تم رسامة أول مطران قبطي للقدس وتخومها سنة ١٢٣٦م.

ومن ممتلكات الأقباط بالقدس :

١ ـ دير السلطان وبه كنيستا الملاك، والأربعة كائنات الروحية الغير متجسدة.

٢ ـ دير أنبا أنطونيوس، شمال شرقي كنيسة القيامة، وبه كنيستان باسم القديسين أنطونيوس وهيلانة.

٣ ـ دير مارجرجس بحارة الموارنة قرب باب الخليل.

٤ ـ خان الأقباط للحج منذ عام ١٨٢٩ في حارة النصارى.

٥ ـ كنيسة العذراء بالجثيمانية بجبل الزيتون.

٦ ـ هيكل على جبل الزيتون.

٧ ـ كنيسة باسم ماريوحنا، خارج كنيسة القيامة.

٨ ـ هيكل باسم الملاك ميخائيل ملاصق للقبر المقدس من الغرب.

هذه الأملاك في مدينة القدس فقط وتوجد لهم أملاك أخرى خارج المدينة ليس هنا مكان ذكرها لالتزامنا بمنهج الدراسة.

مكانة القدس لدى اليهود:

(القدس في الأساطير اليهودية)، القدس في التوارة:

يورشلايم في التوارة: يروشلايم القدس العاصمة الأبدية لشعب إسرائيل، وتعتبر إحدى المدن القديمة والمشهورة في العالم، وهي مدينة المقدسات ، وقلب الأمة ومركزها الوطني والديني والروحي، وهي عاصمة الكبان الصهيونى الجديدة، ومقر المؤسسات المركزية للدولة والحكومة الصهيونيّة وقد ورد اسم القدس في التوراة ٦٤٠٠ مرة، لم يعرف مصدر هذا الاسم، سميت في عهد القضاة يبوس وبعد أنْ احتلّها الملك داود سميت مدينة داوود حيث أقام عليها المذبح، أمّا سليمان فقد بنى هناك الهيكل الأول الذي أصبح شعارًا لوحدة اليهود، وعندما تجزّأت المملكة في عهد رحبعام إلى مملكتيْ يهوذا وإسرائيل بقيت القدس عاصمة لمملكة يهوذا فقط.

هذا تصوّر للقدس ومكانتها وتاريخها في التراث والأساطير الصهيونية التي تأسّس عليها إسرائيل وعاصمتها القدس، حيث لا وجود حقيقيّ لإسرائيل بدون القدس، لذلك يعمل الاحتلال على تهويدها باستمرار من حيث المكان والزمان، وقد تناول الكثير من الباحثين والدارسين موضوع الاستيطان وانتهاكات الاحتلال بشكلٍ عام والقدس بشكل خاص، لكنّنا نعتقد أنّ القليل تناول القضية الأهم وهي: اغتيال فكرة القداسة لمدينة القدس من قلوب أبناء المسلمين وهذه القضية من أخطر القضايا التي يتعرض لها أبناء الأمة العربية والإسلامية.

وقد بيّن أهميتها بعض الباحثين المعاصرين فقال عنها: القدس مدينة متميّزة عن سائر المدن في أيامنا هذه، وكذلك كانت ظاهرة غير عادية على مدى تاريخ الإنسان، فإذا تطلّعنا إلى خريطة الشرق الأوسط التاريخية شهدنا قيام مراكز حكم وحضارات أقدم منها ليس فقط في فلسطين فحسب

بل في غيرها من المناطق كمصر أو العراق، حيث نشأت مدن أهم منها أضعافاً مضاعفة في عصورٍ لم تكنْ القدس فيها معروفة أبدًا، ومع ذلك فالأمر الذي تثيره القدس في الذاكرة الإنسانية أعمق من الأهمية النسبية التي كان من المتوقّع أنْ تثيره استنادًا إلى الكبر النسبي لمساحتها، وعدد سكانها في الماضي، أو إلى آثار الحضارة المادية التي بقيت من المراحل الأولى لتاريخها سواء في المدينة نفسها أو في المتاحف المختلفة في العالم إنّ مصدر الانطباعات القوية التي تعكسها القدس في أذهان العامة والخاصة عبر التاريخ وحتى أيامنا هذه ناجمة عن أهميتها الدينية والثقافية.

فمدينة القدس هي على رأس الأعمال الفكرية التهويدية، من طمس للتراث الزاخر والعبث به وتشويهه وتقديمه لأبناء الأمة العربية والإسلامية، وقد قام بهذا الدور الفئة التي تستّرت بستار العلم لخدمة الاحتلال وبالذات في البلاد المحتلة وكان على رأس هؤلاء المستشرقين كثيراً من اليهود الذين استطاعوا تحصيل كثير من العلوم العربية والإسلامية بواسطة جهود المدرسة اليهودية الأولى في الاستشراق التي لم تكنْ لتقوم لها قائمة لولا جهود شبرنجر وجولد تسيهر ومونك وفامبرى وشاخت، وكانت هي الأساس الذي اعتمد عليه المستشرقون اليهود في فلسطين المحتلة.

لقد بدأ الاستشراق اليهوديّ في فلسطين على يد كلٍّ من جوتياين وشلوسنجر، وبلانك وبينس، إلى أنْ امتدّ حتى البروفيسور م.ي.كستر؛ حيث اتّجه بالاستشراق إلى وجهة جديدة تتوجه لدراسة القضايا الحيوية والفعالة مثل: أدب فضائل المدن وفضائل بيت المقدس، نشأتها وأهميتها، الرواية الإسلامية في بلاد الشام أوروايات الشاميين، والقبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة وجهاز الاستشراقّ لم يغفلْ باحثوه ودارسوه عن التوجّه نحو دراسة الحق اليهوديّ المزعوم في فلسطين منذ داود

حتى وقتنا الحاضر، فما نحن من وجهة نظر تاريخهم إلا غزاة ولسنا بأصحاب الأرض أو الحق ويطلقون على الفترة الإسلامية الاحتلال الإسلاميّ ولقد أفاضت عدة دوائر استشراقية في الوطن المحتل إلى تنبّؤات جديدة ومثمرة ومفيدة في التعرّف على قضايا الصراع العربي- الصهيونيّ وجذوره، ومنه مشروع غزة- أريحا الذي قام بصياغته مستشرقون ولم يغفلْ قادة الاستشراق عن تدريس الإسلام لجيل صابرا الجديد كي يتقن التعامل مع أبناء العروبة والإسلام، فلديهم كتب إسلامية مهمّة قد فُرِضت وقُرّرت لكي يقرأها أبناء جيش الاحتلال الإسرائيليّ، وعدا الطواقم والأجهزة فهناك أساليب كثيرة تدور في دائرة الاستشراق ينبغي دراستها ورصدها وتفهمها من مؤسسات، ودور نشر، ودوريات، ومؤتمرات... إلخ وأهمّ مؤسسة تقوم بدراسة الإسلام وتدريسه بدقة وإخلاص لأبنائها اليهود هي الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب.

وأهمّ مستشرقٍ خاض في هذا المجال وأسّس الدراسات التي كان لها دورٌ كبير في التطاول على الإسلام وتراثه العظيم هو: أجناس جولد تسيهر ١٨٥٠-١٩٢١، المستشرق اليهودي المجري حيث تقدّم بنظرية مفادها: أنّ فكرة قداسة القدس جاءت متأخّرة، ولم يكنْ للقدس أيّ قيمة قبل وجود الخليفة عبد الملك بن مروان الذي قصد من وراء بناء قبة الصخرة التغلّب على منافسه عبد الله بن الزبير، الذي استغلّ قداسة مكة عاصمة ملكه وسيلةً للدعاية، ومحاولة تحويل الحج من الكعبة إلى المعبد الجديد بالقدس، كانت إجراءً برّر بأقوالٍ نسبت إلى النبي وإلى بعض أصحابه وتبعاً لهذا الافتراض ظهرت أحاديث مؤيّدة ومضادة للأهمية الدينية لبيت المقدس وحرْمته كأسلحةٍ في الحرب بين المتنافسين على الخلافة وقد ردّد هذه الفرية كلّ من جاء بعد جولد تشيهر، وإنْ اختلف بشيءٍ قليل في طريقة العرض، ولكن كان الجوهر واحداً.

حيث عزّز هذه المقولة الباحث إ. حسون في مقدمة تحقيقه لمخطوط فضائل البيت المقدس للواسطي، فيقول: نقل الأمويّون مقرّ الخلافة من الحجاز، مهد الإسلام، إلى الشام مهد اليهودية والنصرانية، وقد حدت هذه الخطوة بالأمويين إلى العمل من أجل إضفاء صبغة إسلامية مقدّسة على الشام عامة وبيت المقدس خاصة، ولا شكّ في أنّ معاوية كان مدفوعاً بدوافع سياسية قبليّة بحتة حين قرّر نقل العاصمة إلى دمشق واستبدال الحجاز بالشام ولم يكنْ صعباً عليه إثبات حرمة بلاد الشام فالقرآن يسمّيها الأرض المقدسة في سياق خطاب موسى إلى بني إسرائيل وفيها المسجد الأقصى الذي بارك حوله وإليه أسري بالرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه كان القبلة الأولى للمسلمين وقد وسّع معاوية المعنى الذي يشتمله بيت المقدس إلى الأرض المقدسة وكي ينشر معاوية ذلك بين المسلمين ويدفع عن نفسه تهم علماء المدينة وأصحاب علي وكبار الصحابة الذين لم يؤيّدوه أو يؤيّدوا خطوته هذه، عمل على ترويج الأحاديث والقصص التي تروي ذلك ، ثم يقفز حسون إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فيقول: وممن كان لهم اليد الطولى في ترسيخ مكانة بيت المقدس في الإسلام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي ذكرت إحدى الروايات أنّه تلقّى البيعة فيه، وبنى قبة فوق الصخرة مؤكّداً بذلك أنها مقدسة في الإسلام وحسب حسون، فقد كانت هذه الخطوة من خطوات الدولة الأموية في سبيل تعزيز أمر الإسلام في ديارٍ ما زالت النصرانية راسخة القدم فيها .

وفي موضع آخر يورد حسون زيادات على ما أورده سلفه جولد تسيهر فيقول: انتشر التحديث عن بيت المقدس عن الكتب في نهاية القرن الأول للهجرة وبداية القرن الثاني، وهذه العبارة تعني بصورة عامة مصادر يهودية في الغالب أو نصرانية، فقد حفظ لنا الواسطي أثراً عن خالد بن حازم جاء فيه:

قدم الزهري بيت المقدس فجعلت أطوف به في تلك المواضع فيصلي فيها قال إنّ هنا شيخاً يحدّث عن الكتب يُقال له عقبة بن أبي زينب فلو جلسنا إليه قال فجلسنا إليه فجعل يحدث عن فضائل بيت المقدس فلما أكثر قال له الزهري: أيها الشيخ لن تنتهي إلى ما انتهى الله إليه قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} .

ثم يحاول حسون إثارة الشبه حول أحاديث الفضائل فيقول: يتجلّى الصراع بين رجال الحديث كالزهري الذين يرون أنّ فضل بيت المقدس يكمن في أنّه كان المكان الذي أُسرِيَ بالنبي إليه، وكفاه بذلك فضلاً، وبين القِصاص الذين يجذبون إليهم العامة ويقصّون عليهم القصص من كلّ مصدر كان خاصة من كتب اليهود والنصارى وقد بلغ هذا الصراع ذروته في القرن التاسع للهجرة إلا أنّ النصر طيلة قيام هذا الصراع لم يحالفْ المحدّثين وانتشرت القصص بين المسلمين وأُخِذت على أنّه روايات ثابتة صحيحة ولا أدلّ على ذلك من أنّ مدناً إسلامية كانت في حينه ذات أهمية كبيرة، وجد علماؤها حاجة إلى ربطها بصورة أو بأخرى ببيت المقدس لإعطاء تلك المدن صبغة إسلامية مقدسة .

الهيكل عند اليهود:

وإذا نظرنا إلى الهيكل من وجهة النظر اليهودية، نجد أن الهيكل عندهم يعني بالعبرية بيت همقداش أو البيت المقدس أو هيخال، وتعني البيت الكبير في كثير من اللغات السامية، ومن أهم أسماء الهيكل عندهم: يهوه وهو إله اليهود، أي بيت الإله، وأُعِد أساساً ليكون مسكنا للإله، كما يزعم الكتاب المقدس في سفر الملوك الإصحاح الثامن الفقرتان ١٢-١٣ لكنه بعد ذلك أصبح مكاناً للعبادة وأداء الطقوس وتقديم القرابين، ويزعم اليهود أن الهيكل بناه سليمان عليه السلام في الفترة ٩٦٠-٩٥٣ ق.م.

وقد بناه فوق جبل موريا وهو جبل بيت المقدس، حيث يوجد الآن المسجدان الأقصى وقبة الصخرة ويسمي اليهود هذا الجبل جبل الهيكل، وجاءت قصة بناء سليمان للهيكل في سفري الملوك الأول وأخبار الأيام.

وقد هدم هذا الهيكل - كما يزعمون - على يد نبوخت نصر البابلي عام ٥٨٦ق.م ثم أعاد اليهود بناءه سنة ٥٢٠-٥١٥ ق.م، والباني له يهودي اسمه زور بابل، ويذكر اليهود انه بني بأمر من الرب وهدم هذا الهيكل الثاني على يد القائد الروماني تيطس سنة ٧٠ ميلادية الذي أقدم على تدمير القدس، ولم يترك فيها حجراً على حجر, وبطش بالذين حلوا بها من اليهود.

وعبر القرون توالت الفتاوى، حول ضرورة بناء الهيكل، والذي أصّل لذلك موسى بن ميمون الطبيب اليهودي في البلاط الأندلسي، الذي زار القدس عام ١٢٦٧م، ولفت انتباه اليهود إلى ضرورة بناء هيكل، ليكون رمزاً لوحدتهم هيكل مركزي وحيد موحد يكون بديلاً عن أماكن عبادتهم في الكنس , بحيث يتوقف عصر الحاخامات ويبدأ عصر الكهنة ممن يعودون بالعبادة من بدعه المزامير إلى عادة تقديم الأضاحي والقرابين وذهب موسى بن ميمون إلى أن الهيكل الثالث لن يُبْنى بأيدٍ بشرية، وإنما سينزل كاملاً من السماء.

واختلفت في الهيكل الأفهام وتنوعت الرؤى وتعددت الفتاوى غير أن إقدام أوروبا المسيحية على دفع اليهود إلى داخل العمق العثماني لأسباب مفهومة أذكت من جديد مشاريع بناء الهيكل، إلى أن ابتدع لهم أحد الحاخامات عام ١٥٦٧م فكرة النواح عند حائط البراق الذي سموه حائط المبكى , ومنذئذ وهم يملأون العالم عويلاً وبكاءً ونواحاً لأجل الهيكل العظيم نبكي وحدنا وننوح

ويزعمون أن حائط المبكى هذا من بقايا الهيكل القديم، وهذه قضية فصلت فيها بشكل حاسم لجنة دولية عام ١٩٢٩م، حيث جاء في تقرير لجنة تقصى الحقائق، التي أوفدتها عصبة الأمم السابقة على الأمم المتحدة إن حق ملكية حائط البراق، وحق التصرف فيه وفيما جاوره من الأماكن، موضع البحث في هذا التقرير، هو للمسلمين لأن الحائط نفسه جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف.

معتقدات الهيكل:

وللهيكل مكانة كبيرة في معتقدات اليهود وفي وجدانهم الديني، يقول المؤرخ ول.ديورانت في كتابه قصة الحضارة متحدثاً عن مكانة الهيكل وقدسيته لدى اليهود:كان بناء الهيكل أهم الحادثات الكبرى في ملحمة اليهود لأن هذا الهيكل لم يكن بيتاً ليهوه إله اليهود فحسب، بل كان أيضاً مركزاً روحياً لهم وعاصمة ملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، كأنه علم من نار يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض وللهيكل موقع خاص في نفوسهم ووجدانهم يستوي في ذلك المتدين والعلماني, وهم يبالغون في نظرتهم لمكانة الهيكل إلى حد وضعه في مركز العالم , وحسب تعبير الباحث محمد حماد الطل: لأنه بني في وسط القدس الكائنة في مركز الدنيا، وقدس الأقداس الذي يقع في وسط الهيكل بمنزلة سُرة العالم، ويوجد أمامه حجر الأساس النقطة التي عندها خلق العالم والهيكل عندهم كنز ثمين بل هو أثمن ما في السموات والأرض، لأن الله - كما يزعمون- خلق السموات والأرض بيد واحدة بينما خلق الهيكل بيديه كلتيهما، بل إن الإله قرر بناء الهيكل بنفسه قبل خلق الكون نفسه.

ولديهم تأملات شيطانية كثيرة بخصوص الهيكل، فالفناء المحيط بالهيكل بمنزلة البحر والمقدس هي الأرض وقدس الأقداس هي السماء، ولما هدم الهيكل في ٧٠م، ولم يستطع اليهود إعادة بنائه ابتدعوا جملة من الأساطير جعلوها عقائد وطقوس لهم، فهم يذكرون الهيكل في كل المناسبات كالولادة والزواج والمرض وصلاة منتصف الليل وعند الوجبات والوفاة , فعند الزواج مثلاً يحطم العروسان كوباً فارغاً للتذكير بدمار الهيكل، وقد ينثر بعض الرماد على جبهة العريس لتذكيره بهدم الهيكل.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: أن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة عرش داود في القدس وعليه أمير من نسل داود ويصوم اليهود يوما في كل عام، هو يوم التاسع من أغسطس احتفالا بذكرى هدم الهيكل، لأنه هدم في ذلك اليوم، ولهم صلاة خاصة في منتصف الليل حتى يعجل الإله بإعادة بناء الهيكل. ومن هنا فان الحديث عن الهيكل يأخذ مساحة كبيرة في التراث اليهودي القديم، والحديث، ويد التحريف اليهودية تزيد في المبالغة في الكلام عن الهيكل في كل عصر عن العصر الذي سبقه.

التناقض حول مكان الهيكل :

ورغم أن موضوع هيكل سليمان له أصل في التراث الديني القديم والحديث عند اليهود، وأنه ذكر في الكتاب المقدس التوراة وبقية الأسفار، وفي التلمود، وهي كتب تم تحريفها بأيدي الأحبار والرهبان، ويحتل مساحة من تاريخهم القديم والحديث وأدبياتهم، إلا أنه من الناحية العلمية الموضوعية، فإن التاريخ لا يثبت وجود هذا الهيكل، بل يُعِدُّه من الأساطير والخرافات المؤسسة للعقيدة اليهودية.

ويمكن الرد على المزاعم اليهودية بخصوص الهيكل من وجوه عدة، من أهمها التناقض والاضطراب والاختلاف الموجود بين نصوص الكتاب المقدس حول مكان وجود الهيكل، ثم الاختلاف بين الطوائف اليهودية في المكان الذي بني فيه الهيكل، فاليهود السامريون يعتقدون انه بني على جبل جرزيم في مدينة نابلس، ولا يعترفون بالمزاعم اليهودية، ويستدلون على ذلك بسفر التثنية أحد أسفار التوراة الخمسة.

أما اليهود المعاصرون من الحاخامات والعلماء الباحثين، خاصة القادمين من أمريكا وبريطانيا الاشكناز فهم يعتقدون أن هيكل سليمان تحت الحرم القدسي، لكنهم مختلفون فيما بينهم في تحديد مكان الهيكل، واختلافاتهم تصل إلى خمسة أقوال كلها مختلفة ومتناقضة، فمنهم من يزعم أنه تحت المسجد الأقصى، ومنهم من يزعم أنه تحت قبة الصخرة، ومنهم من يزعم أنه خارج منطقة الحرم، ومنهم من يزعم أنه على قمة الألواح وهي في منطقة الحرم بعيداً عن المسجدين.

ولقد أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان الذين نقّبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان تحت الحرم القدسي لا تحت المسجد الأقصى ولا تحت قبة الصخرة، وشاركهم في هذا الرأي كثير من الباحثين اليهود والغربيين، مما دفع بعضهم إلى أن يقول إن الهيكل قصة خرافية ليس لها وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود إسرائيل فلنتشتاين من جامعة تل أبيب ونشرت آراؤه منذ فترة قريبة، وغيره كثير وفنّدت دراسات أجراها باحثون وعلماء آثار يهود فكرة وجود هيكل سليمان في الحرم القدسي الشريف بل ذهب بعضهم إلى أن الهيكل قد بناه سليمان خارج الحرم القدسي، بل هناك دراسة حديثة لعلماء يهود تنص صراحة على أن منطقة الحرم القدسي الشريف خارجة عن المنطقة المقدسة لدى اليهود.

مكانة الهيكل في السياسة الإسرائيلية:

إذا نظرنا إلى موقف السياسة الإسرائيلية من الهيكل، نجد أن معتقدات الساسة اليهود بالنسبة لفلسطين ثلاثة: عودة شعب إسرائيل إلى أرض الميعاد، وقد عادوا-وإقامة دولة لهذا الشعب، تكون أورشليم مدينة الرب عاصمة لها، وقد حققوا هذا عام ١٩٤٨ و١٩٦٧م وإقامة هيكل الرب في جبل موريا على الأرض التي اشتراها داود عليه السلام من أرونا اليبوسي، حيث بناه ولده سليمان وهذا المعتقد يسعون إلى تحقيقه على أرض الواقع، وهناك مخططات يهودية لهدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل مكانه، ويكفي أن نعلم أنهم أعدوا الخرائط والمخططات الهندسية، ولديهم مجسّم معماري للهيكل يحتل جزءاً من مساحة غرفة كبيرة، وكذلك مواد البناء أصبحت جاهزة، وهي محفوظة في مكان سري، وأعدوا أثواب الحرير الخالص التي يرتديها الحاخامات في الهيكل.

الباب الثالث
تاريخ القدس

حظيت مدينة القدس- وما تزال- بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، لم تضاهيها في ذلك أي مدينة عبر التاريخ وعلى مر العصور، ولقد تميزت هذه المدينة بخصوصية اكتسبتها من انفرادها بالبعد الروحي المرتبط بالزمان والمكان؛ فهي في الزمان ضاربة جذورها منذ الأزل بوجهها الكنعاني الحضاري، وتمتعت بكل من الموقع والموضع، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم، تعاقبت عليها الحضارات وأقامت بها المجموعات البشرية المختلفة، مخلفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ دلالة على عظم وقدسية المكان.

ولا بد أن يكون لمثل هذه الظاهرة الحضارية الفذة أسباب ومبررات هي سر خلودها واستمرارها آلاف السنين، رغم كل ما حل بها من نكبات وحروب أدت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها ثماني عشر مرة عبر التاريخ، وفي كل مرة كانت تخرج أعظم وأصلب من سابقتها وأكثر رسوخاً، دليلاً على إصرار المدينة المقدسة على البقاء، فمنذ أن قامت القدس الأولى الكنعانية قبل نحو ٦٠٠٠ سنة ق.م.

ويرجع المؤرخون بداية الحضارة في القدس الى عشرة آلاف عام تقريباً، حيث ظهرت حضارة النطوفيين التي اكتشفت آثارهم في وادي النطوف غربي القدس، وكانوا أول من عرف الزراعة عبر التاريخ في الألف الرابع قبل الميلاد هاجرت من الجزيرة العربية قبائل العموريين والكنعانيين ومنهم اليبوسيون الى ارض فلسطين، التي أطلق عليها أرض كنعان، وكان اليبوسيون أول من سكن مدينة القدس حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد ومن أشهر ملوكهم سالم الذي بنى فيها حصناً واحاطه بأسوار، وسميت المدينة باسمه أورسالم، ومن ملوكهم كذلك ملكي صادق الذي تشير التوراة إلى إيمانه بالله، وصداقته لإبراهيم الخليل عليه السلام، واتخاذه من الحرم القدسي الشريف معبداً له.

القدس ومصر الفرعونية:

عثر علماء الآثار في مصر على قبور ونقوش كثيرة ترجع إلى الأسرة الفرعونية السادسة (حوالي سنة ٢٤٢٠ – ٢٢٨٠ق.م)، سجل بعضُها معلومات عن أقدم حملة حربية في التاريخ المعروف لنا، شارك فيها جيش وأسطول بحري من مصر، وقد كانت هذه الحملة في عهد الملك بيبي الأول، وأُرسلت لإخماد ثورة مشتعلة ضد الحكم المصري في فلسطين بناحية الكرمل.

يقول أحد رجال بيبي الأول في نقش نفيس مازال محفوظا إلى اليوم: وعلى إثر ذلك – أي اشتعال الثورة – أبحرتُ في سفن البحر ومعي فصائل جنود، ونزلتُ خلف مرتفعات الجبال الواقعة شمالي بلاد سكان الرمال، وعندما سار هذا الجيش على المرتفعات سرتُ وقبضت على الثوار بأكملهم، وقُضي على العصاة كلهم.وهذه القوة في مواجهة ثورة داخلية تدل على أنها ليست محاولة لإخماد الثورة القائمة فحسب، بل هي يضًا عمل لإرهاب من يفكر – مجرد تفكير – في الثورة، مما يعني أن فلسطين كانت مسرحًا لثورات متتابعة..

والمؤرخون يرون أن وقوع الكنعانيين بين حضارات قوية فيما بين النهرين ومصر وهناك قصة فرعونية شهيرة بطلها أمير يُدعَى سنوهيت، ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، تكشف عن معيشة بدوية كانت تحياها فلسطين في هذا الزمن، فالقبيلة هي صاحبة السيطرة، وتنافسها بقية القبائل على المنافع، ومن شأن هذا أن يسبب متاعب لحكام مصر، فكان لابد من إخضاع المنطقة لهم، أو ضمان ولاء أمرائها.

وسنوهيت هذا الأمير الذي كان من رجال أمنمحات الأول (١٩٩١ – ١٩٦٢ق.م) هرب من مصر إلى فلسطين بعد انفراد سنوسرت الثالث (١٨٧٨ – ١٨٤٣ق.م) بالحكم، واختلط بالقبائل البدوية المقيمة هناك، وصاحَب أحد شيوخها (تسمّيه الوثيقة القديمة عمو ننشي)، الذي حنا عليه، وزوّجه من كبرى بناته، وأدمجه في حياة البادية، حتى صار ذا مال وذرية، واستعمل مهارته في تسكين ثورات البدو.

يقول سنوهيت: لما أخذ البدو يخرجون عن الطاعة، ويقاومون رؤساء الصحارى كبَحتُ جِماحهم،لأن أمير فلسطين قد جعلني عدة أعوام رئيس جيشه، وكل بلاد سرت إليها قد طردتها من مراعيها وآبارها، ونهبت ماشيتها، وأسرت أهلها ويحكي سنوهيت عن مبارزة شرسة وقعت بينه وبين مقاتل فاتك من فلسطين، يقول: وقد جاء رجل قوي من فلسطين ليبارزني في معسكري، وقد كان بطلاً منقطع النظير، أخضع كل فلسطين (يقصد – فيما يبدو – أنه لم يهزمه أحد من أهلها في المبارزة) وعند الفجر كانت فلسطين قد جاءت (يعبر عن كثرة من حضر المبارزة)؛ إذ إنها أثارت قبائلها، وحشدت ممالكها، وهيأت هذا النزال.إنها حياة بدوية لا يستقر فيها الولاء لأحد، فكان الفراعنة يضمنون تبعية فلسطين بولاء أمراء المدن لهم – ويبدو أنهم كانوا كثيرين – لكن هؤلاء الأمراء كانوا يتعرضون لهجمات متتالية من البدو، لا تتوقف إلا لتبدأ من جديد، فكان لابد من مساندة الفراعنة لأتباعهم. كما أن هؤلاء الأمراء أنفسهم كانوا ينقضون ولاءهم للحكومة المركزية في مصر.

وقد كان الاختلاط بين الأجناس في مصر وأملاكها مما لا يحول دونه حائل، فمثلا اكتُشف حديثا ما أدهش علماء الآثار، فقد تبين لهم من خلال لوحة فرعونية قديمة (لوحة الملك آي) أن قوماً من الكنعانيين وفدوا على مصر، وسكنوا في منطقة أبي الهول في عهد الدولة الحديثة (من عام ١٥٦٧ – ١٠٨٥ق.م).

وقد تأثر المصريون بضيوفهم، فعبدوا مثلهم ما يسمَّى بالإله حورون، وجاء تمثال أبو الهول الشهير أثرًا لهذه العبادة، وحمل اسمًا ساميًا هو بر حول، وتحول على لسان العرب إلى أبو الهول.

مهما يكن، فقد كانت القدس طوال ارتباط فلسطين بمصر جزءاً من مسرح الأحداث المصري، فأميرها إما أن يكون موالياً لفرعون مصر يستحق المعونة والمساعدة، وإما أن يتزعم معاداة مصر والخروج على سلطانها فيستحق اللعن حتى في الطقوس الدينية!!

لقد عمل فراعنة الأسرة الثانية عشرة (من ١٩٩١ – ١٧٧٨ق.م) على بسط سلطانهم في اتجاه سوريا، وسيطروا سياسياً واقتصادياً على أرض كنعان، دون أن تصير إقليمًا مصريًا وتركز اهتمام المصريين حينئذ على المدن الكنعانية لأهميتها التجارية والعسكرية، ولكن القدس لم يكن لها حظ كبير في هذا الأمر حينئذ، وقد شق أميرها عصا الطاعة، حتى عد سنوسرت الثالث مَلِكَها عدواً له يستوجب اللعنات في الطقوس الدينية. وفي أحد النقوش الفرعونية القديمة سجل أحد ضباط سنوسرت الثالث يدعَى سبك خو ما يؤكد توجيه هذا الفرعون حملة عسكرية إلى فلسطين، وأنه عسكر بمكان يسمَّى سكمم بوسط فلسطين، كما عُثر على آثار فرعونية في مجدو وغيرها من مناطق فلسطين ترجع إلى هذه الفترة الزمنية القرن التاسع عشر قبل الميلاد، مما يؤيد الرأي القائل بسيطرة مصر على القدس وما سواها في هذا التاريخ.

وفي القرن الخامس عشر قبل الميلاد دخل الفراعنة في صراع مع الحيثِيِّين في الأناضول وملوك بلاد ما وراء النهر، فاحتاجوا إلى ضمان خضوع أرض كنعان لسلطانهم، حتى يمروا خلالها إلى أعدائهم في أمان، فنجح تحوتمس الثالث (١٥٠٤ – ١٤٥٠ق.م) في إخضاعهم، وكانت القدس من المدن التي أخضعها، وإن تمتع الأمراء هناك باستقلال كبير. ويُنسب إلى هذا الفرعون تأسيس قلعة في بيسان.

وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد، كانت الغارات البدوية على أمراء المدن التابعين لمصر تزداد، فكانت الاستغاثات وطلبات النجدة تتابع، وممن أرسلوا يطلبون النجدة من أخناتون (١٣٧٢ – ١٣٥٤ ق.م) أمير يوروساليم (القدس) عبدي خيبا، الذي حذر الفرعون بقوة من سقوط المدينة في يد قبائل خبيري الشرسة. ولكن ظروف مصر حينئذ حالت دون إنقاذ الموقف.

ويسجل مؤرخو التاريخ الفرعوني أن مصر قد عاشت قرنين من الزمان على الغنائم التي حملها شيشنق من فلسطين، ولا أدلَّ على ذلك من العمائر التي أخذ في إقامتها ملوكُ هذه الأسرة الثانية والعشرين، مما يدل على بسطة في المال وسعة في الرزق وهذا يعني فقد بني إسرائيل للكثير من الكنوز والثروات التي خلّفها داود وسليمان عليهما السلام مبكراً.

وقد كان الهدف من هذه الحملة – كما هي العادة الفرعونية – ضمان ولاء ملوك هذه الجهات لحاكم مصر، ومنع قيام دولة قوية هناك تهدد سلطانهم، وتضع طرق تنقلهم العسكرية والتجارية في دائرة الخطر.

حكم اليهود:

أول دخول لليهود إلى القدس كان زمن داوود عليه السلام، الذي سيطر على المدينة حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد، وسمى المدينة باسمه، وبنى فيها حصون وقصراً له، ثم خلفه في حكم القدس ابنه سليمان عليه السلام الذي بنى فيها هيكله المعروف باسمه، واستمر حكم اليهود للمدينة ٣٠٠٠ عام تعرضت خلالها لكثير من غزوات الاعداء وانتشر فيها الفساد والفوضى وعبادة الأوثان.

بيت المقدس قبيل الغزوين الآشوري والبابلي:

لم يكن هدف شيشنق الأول من حملته على فلسطين حوالي سنة ٩٢٠ ق. م أن يضع يده عليها مباشرة، إنما أراد فقط أن يضمن ولاءها للتاج الفرعوني، ويقضي على أي قوة يمكن أن تنشئ دولة متحدة فيها؛ لذلك بقيت سلالة سليمان تحكم هناك زمناً، حتى دمر الآشوريون مملكة إسرائيل عام ٧٢٢ – ٧٢١ ق.م، ودمر البابليون مملكة يهوذا سنة ٥٩٧ ق.م وحسب رواية العهد القديم، فقد مكث رحبعام بن سليمان في حكم مملكة يهوذا وعاصمتها القدس سبع عشرة سنة، حيث مات بعد حملة الفرعون شيشنق باثنى عشر عاماً، وتتابعت ذريته في حكم المملكة الجنوبية حتى بلغوا تسعة عشر ملكاً، حكم بعضهم شهورًا، وتجاوز حكم بعضهم نصف قرن من الزمان.

وعن أحوال المملكتين اليهوديتين أثناء هذه الفترة كما ترويها أسفار العهد القديم يقول بعض الباحثين بحق: احتوت الأسفار كثيراً من أخبار دولتي إسرائيل ويهوذا وأحوالهما الداخلية والخارجية، وما ارتكست فيه الدولتان وملوكهما من فتن وحروب أهلية وانحرافات دينية وخلقية، وما تعرضتا له من غزوات خارجية ولم يكد يُسجَّل لهما فيها إلا حقب قصيرة من السيادة التامة أو الانتصار على غيرهما، كما أن ما سجلته من الصلاح والاستقامة أقل بكثير مما سجلته من الانحرافات الدينية والأخلاقية.

إذن كان الجو مهيّئا لسقوط المملكتين اليهوديتين إسرائيل ويهودا، فقد عمت الفُرقة والتشرذم والتقاتل الداخلي، وانتشر بين عامة الناس وخاصتهم الفسادُ الخلقي والانحراف عن أوامر الدين، حتى كانت القدس نفسها ساحة مفتوحة للانحراف في العقيدة والخلق

وظهرت في هذه الأثناء دول متحضرة، لكنها ضارية كالوحوش، فيما بين النهرين (دجلة والفرات) في أزمنة متتالية، فدمر الآشوريون أولاً عروش دولة إسرائيل التي حالفت السوريين ضدهم، وأوقفوا زحفهم في عهد الملك العبري أخاب بن عمري (حكم من ٨٧٤ – ٨٥٢ ق.م)، فتربص الآشوريون بمملكة إسرائيل حتى أسقطها سرجون الثاني بعد وفاة أخاب المذكور بثلاثين عاما.

حكم الفرس:

احتل الفرس مدينة القدس زمن نبوخذ نصرعام ٥٨٦ قبل الميلاد، الذي دمر المدينة وأحرق الهيكل، وقضى على وجود اليهود فيها وسباهم إلى بابل، بالعراق، إلى أن سمح لهم الملك قورش الفارسي عام ٥٣٨ ق.م بالعودة إلى القدس، وبنى لهم هيكلاً سماه هيكل قورش.

العموريون والكنعانيون:

وفقاً للتقديرات التاريخية فإن الهجرة الأمورية- الكنعانية من الجزيرة العربية قد حدثت قبل ٧ آلاف سنة، وذلك من خلال تتبع الآثار في مدنهم القديمة، ولعل أقدمها مدينة أريحا الباقية حتى اليوم والتي تعتبر أقدم مدينة في العالم وإن تأرجحت تقديرات البداية الزمنية لوجود الكنعانيين، فما من خلاف فيه أنهم كانوا أول من سكن المنطقة من الشعوب المعروفة تاريخياً، وأول من بنى على أرض فلسطين حضارة حيث ورد في الكتابات العبرية أن الكنعانيين هم سكان البلاد الأصليون، كما ذكر في التوراة أنه الشعب الأموري ولعل الكنعانيين هم أنفسهم العموريون أو ينحدرون منهم، وكذلك الفينيقيون، فقد كان الكنعانيون والفينيقيون في الأساس شعباً واحداً، تجمعهما روابط الدين واللغة والحضارة ولكن لم تكن تجمعهما روابط سياسية إلا في حالات درء الخطر الخارجي القادم من الشمال أو الجنوب .

ووفقا للتوراة فإن كنعان تمتد من أوجاريت (رأس شمرا) حتى غزة، وقد تم العثور على قطعة نقود أثرية كتب عليها اللاذقية في كنعان، وفي تلك الفترة توصل الكنعانيون إلى بناء الصهاريج فوق السطوح، وحفر الأنفاق الطولية تحت الأرض لإيصال المياه داخل القلاع، ومن أهم هذه الأنفاق نفق مدينة جازر التي كانت تقع على بعد ٣٥ كم من القدس. وكذلك نفق يبوس)القدس)، حفره اليبوسيون، وجاءوا بالمياه إلى حصن يبوس من نبع جيحون.

اليبوسيون بناة القدس الأولون:

اليبوسيون هم بطن من بطون العرب الأوائل، نشئوا في قلب الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية التي ينتمون إليها، إنهم أول من سكن القدس وأول من بنى فيها لبنة.

وعندما رحل الكنعانيون عن الجزيرة العربية رحلوا جماعات منفصلة وقد حطت هذه الجماعات في أماكن مختلفة من فلسطين فراحت تدعى أرض كنعان، فبعضهم اعتصم بالجبال، والبعض الأخر بالسهول والوديان وقد عاشوا في بداية الأمر متفرقين في أنحاء مختلفة، حتى المدن التي أنشئوها ومنها (يبوس، وشكيم، وبيت شان، ومجدو، وبيت إيل، وجيزر، واشقلون، وتعنك، وغزة)، وغيرها من المدن التي لا تزال حتى يومنا هذا، بقيت كل مدينة من هذه المدن تعيش مستقلة عن الأخرى، هكذا كان الكنعانيون في بداية الأمر، ولكن ما لبث أن اتحدوا بحكم الطبيعة وغريزة الدفاع عن النفس، فكونوا قوة كبيرة، واستطاعوا بعدئذ أن يغزوا البلاد المجاورة لهم، فأسسوا كيانا عظيما بقى فترة طويلة.

كانت يبوس في ذلك العهد حصينة آهلة بالسكان، واشتهرت بزراعة العنب والزيتون كما عرفوا أنواعاً عديدة من المعادن منها النحاس والبرونز، كما عرفوا أنواع عديدة من الخضار والحيوانات الداجنة، كما عرفوا الخشب واستخدموه في صناعاتهم عن طريق الفينيقيين، كما اشتهروا بصناعة الأسلحة والثياب ولقد أسس الكنعانيون واليبوسيون حضارة كنعانية ذات طابع خاص، ورد ذكرها في ألواح تل العمارنة.

ومن التفاصيل التي وردت في رسائل العمارنة:

- علاقة مدينة القدس بملوك الفراعنة أمنحوتب الثالث والرابع إخناتون .
- احتواء أرشيف العمارنة على ٣٥٠ رسالة مكتوبة باللغة الأكدية أرسلت من ملوك المدن الكنعانية إلى أمنحوتب الرابع، وتتحدث في معظمها عن العلاقات بين الطرفين والمساعدات التي ترسل إلى تلك المدن من الحكومة المركزية في مصر .
- تحدثت إحدى الرسائل عن اتفاقية حدود بين القدس وكل من جاراتها شكيم في الشمال وبيت لحم في الجنوب، حيث تنظم هذه الاتفاقية نقاط الحدود بين هذه الممالك .
- وورد في إحدى هذه الرسائل كلمة أفرى وتعني الغريب، وتنطبق هذه الكلمة على أولاد يعقوب، ومنها بدأت عملية التزوير التي أطلق بموجبها على الشعب اليهودي في حين كانت أشد ما تكون وضوحا في الرسالة .
- ونلاحظ في رسائل أخرى عديدة اختلاف أو تعدد أسماء القدس .
- عثر أثناء الحفريات أيضاً على بقايا فرعونية في موقع كنيسة الست اثنى وهي عبارة عن نصوص مكتوبة على لوح فخاري تدل على وجود معبد كانت تمارس به طقوس العبادة الفرعونية .
- تعود معظم الأبنية والأنماط المعمارية لهذا العصر، حيث وجدت في موقع مدينة أوفل أي خارج سور باب المغاربة.

- دلت الأساسات والبقايا والأنماط المعمارية التي اكتشفت في أعوام (١٩٦١-١٩٦٢-١٩٦٣م على وجود أسوار بلغ ارتفاعها حوالي ١٠ أمتار، كما تدلل الكثير من الأبنية المكتشفة على وجود قصور وقلاع وحصون كانت قائمة في المدينة في تلك الحقبة .

- ومن أعظم المواقع المكتشفة وأبدعها في هذا العصر دار الحكومة في الجهة الجنوبية ، كما أن الكهوف التي اكتشفت في منحدرات جبل الزيتون ساعدت في التعرف على كثير من التماثيل والمواد الأثرية التي لم يتم نشرها ، بل حفظت في مجموعات توجد الآن في متحف لندن وقد ظهر بينهم ملوك عظماء بنوا القلاع وأنشئوا الحصون وأنشئوا حولها أسوارًا من طين، ومن ملوكهم الذين حفظ التاريخ أسماءهم، ملكي صادق ويعتبر هو أول من بنى فى موضع يبوس ، وكانت له سلطة على من جاوره من الملوك، حيث أطلق بنو قومه عليه لقب كاهن الرب الأعظم.

وكانت يبوس في ذلك العهد ذات أهمية من الناحية التجارية ومن أنشط المدن الكنعانية، لأنها واقعة على طرق التجارة، كما كانت ذات أهمية من الناحية الحربية؛ لأنها مبنية على ٤ تلال وكانت محاطة بسورين، وحفر اليبوسيون تحت الأرض نفقاً يمكنهم من الوصول إلى عين روجل التي سميت الآن عين أم الدرج.

كذلك كان فيها واد يعرف بواد الترويين يفصل بين تل أوفل وتل مدريا - عندما خرج بنو إسرائيل من مصر، ونظروا أرض كنعان ورأوا فيها ما رأوا من خيرات راحوا يغيرون عليها بقصد امتلاكها قائلين: إنها هي الأرض التي وعدهم الله بها، وبذلك أيقن الكنعانيون الخطر القادم فطلبوا العون من مصر؛ لأن بني إسرائيل كانوا كلما احتلوا مدينة خربوها وأعملوا السيف فيها.

أما المصريون فقد كانوا يكتفون بالجزية، فلا يتعرضون لسكان البلاد وعاداتهم ومعتقداتهم ولم يتوان المصريون في مد يد العون إلى الكنعانيين، فراحوا يدفعوا الأذى عنهم ونجحوا في صد الغارات والكنعانيين ضد العبريين.

ومن الجدير ذكره أن هناك بين ألواح تل العمارنة التي وجدت في هيكل الكرنك بصعيد مصر لوح يستدل منه على أن عبد حيبا أحد رجال السلطة المحلية في أورسالم أرسل عام ١٥٥٠ ق.م إلى فرعون مصر تحتموس الأول رسالة طلب إليه أن يحميه من شر قوم دعاهم في رسالته بالخبيري.

بنو إسرائيل والقدس:

في عهد الفرعون المصري رمسيس الثاني وولده مرنبتاح، خرج بنو إسرائيل من مصر وكان ذلك عام ١٣٥٠ ق.م، لقد اجتازوا بقيادة نبي الله موسى صحراء سيناء وحاولوا في بادئ الأمر دخول فلسطين من ناحيتها الجنوبية، فوجدوا فيها قوماً جبارين فرجعوا إلى موسى وقالوا له كما يخبرنا القرآن الكريم فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وبعدها حكم عليهم الرب بالتيه في صحراء سيناء ٤٠ عاما.

وبعدها توفي موسى ودفن في واد قريب من بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى الآن وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى وهو أحد الذين أرسلهم موسى لعبور فلسطين، فعبر بهم نهر الأردن ١١٨٩ ق.م على رأس ٤ أسباط هم :راشيل، إفرايم، منسه، بنيامين، واحتل أريحا بعد حصار دام ٦ أيام فأعملوا فيها السيف وارتكبوا أبشع المذابح، ولم ينج لا رجل ولا امرأة ولا شيخ ولا طفل ولا حتى البهائم ثم أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها، بعد أن نهبوا البلاد وبعدها تمكنوا من احتلال بعض المدن الكنعانية الأخرى حيث لقيت هذه المدن أيضا ما لقيته سابقتها.

وبعد أن سمع الكنعانيون نبأ خروج بني إسرائيل من مصر هبوا لإعداد العدة، حيث عقد ملك أورسالم أضوني صادق حلفاً مع الملوك المجاورين له وكان عددهم واحداً وثلاثين مكونين جيشا مجهزاً قوياً، لذلك لم يتمكن يوشع من إخضاع الكنعانيين ومات دون أن يتمكن من احتلال أورسالم لأنها كانت محصنة تحصيناً تاماً وكانت تحيط بها أسوار منيعة، ولقد مات يوشع بعد أن حكم ٢٧ سنة بعد موت موسى، وبعده تولى قيادة بني إسرائيل يهودا وأخوه شمعون حيث غزا بنو إسرائيل في عهدهما الكنعانيين مرة أخرى وحاولوا إخضاعهم ورغم أن الكنعانيين خسروا ما يقارب ١٠ آلاف رجل في هذه المعركة فإن بني إسرائيل أرغموا على مغادرة المدينة.

عهد القضاة:

عاش بنو إسرائيل على الفوضى والضلال طيلة حكم القضاة وعددهم أربعة عشر، وكان تاريخهم عبارة عن مشاغبات وانقسامات، حيث ارتد الكثير من الإسرائيليين إلى ديانات الكنعانيين وعبادة أوثانهم كبعل وعشتروت، بالإضافة إلى الانقسامات والانقلابات الداخلية التي دبت في صفوفهم فكانوا يلتفون حول القائد الذي يتولى قيادة أمورهم سنة، ثم ينقلبون عليه ويعصون أوامره سنين، وخلال هذه الفوضى لم يذوقوا طعم الحرية والاستقلال أبداً؛ إذ حاربهم الكنعانيون وقضوا مضاجعهم أجيالاً طويلة، ومن ثم حاربهم المؤابيون، وألحقوا بهم الذل والهوان، ثم حاربهم المديانيون والعمونيون والفلسطينيون حيث كانت حروبهم مع الفلسطينيين أشد ضراوة وأبعدها أثراً؛ الأمر الذي أدى إلى انتحار شاؤول ملك العبرانيين سنة ١٠٩٥ ق .م.

ويذكر لنا التاريخ أن المدن الكنعانية ـ الفلسطينية التي عجز العبرانيون عن فتحها كانت ذات حضارة قديمة، حيث كانت المنازل مشيدة بإتقان، فيها الكثير من أسباب الراحة والرفاهية وكانت مدنهم تشتهر بحركة تجارية وصناعية نشطة وكانت المدن على علم ومعرفة بالكتابة ، ولها ديانة وحكومة سياسية أيضا، فلقد اقتبس أولئك العبرانيون من مواطني المدن الكنعانية حضارة لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عن أهل هذه المدن التي عجزوا عن فتحها وقد أحدث هذا الامتزاج تغيرات جوهرية في حياة العبرانيين، فترك بعضهم سكنى الخيام وشرعوا يبنون بيوتاً كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية، ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية.

هذا حال العبرانيين الذين أقاموا في الشمال الخصيب، أما أولئك الذين أقاموا في جنوب فلسطين فقد حافظوا على أسلوب معيشتهم البدوية القديمة.

ومن الجدير ذكره في تاريخ بني إسرائيل في تلك الحقبة أن منازعات داخلية كبيرة نشبت بين شاؤول وداود وبين أسرتيهما، أما داود فقد حالف الفلسطينيين وعقد معهم حلفاً والآخر أراد أن يحصل على استقلاله بالقوة؛ الأمر الذي عصى عليه ومات مقهوراً.

ويدعي بعض اليهود أن المسجد الأقصى أقيم على أنقاض الهيكل الذي بناه سليمان بعدما أصبح ملكاً على بني إسرائيل بعد موت أبيه داود غير أن هذا ليس صحيحاً، فحتى هذه اللحظة لم يكتشف أي أثر يدل على بناء الهيكل في هذا المكان أو في منطقة القدس، ولم يستطع أحد أن يحدد مكان مدينة داود فكيف لليهود أن يتحدثوا عن الهيكل.

ونذكر هنا أن مدينة القدس تعرضت لغزوات عديدة كان أولها من قبل الكلدانيين، حيث قام نبوخذ نصر بسبي بعض اليهود المقيمين في أطراف المدن الكنعانية لرفضهم دفع الجزية، فيما عرف بالسبي البابلي الأول وتلاه غزو آخر عرف بالسبي البابلي الثاني بسبب انضمام بعض اليهود إلى جملة المدن الثائرة على بابل عام ٥٨٦ قبل الميلاد، واقتاد عدداً منهم أسرى إلى بابل وتلى ذلك الغزو الفارسي للمدينة سنة٥٣٨-٥٣٩ ق.م ومن ثم تعرضت المدينة للغزو اليوناني عندما دخل الإسكندر المقدوني الكبير فلسطين سنة ٣٣٢ ق.م وبعد ذلك دخلت الجيوش الرومانية القدس سنة ٦٣ ق.م على يد بوبي بومبيوس الذي عمل على تدميرها بعد أن تم دمج الأطراف الشرقية للبحر الأبيض المتوسط في الإمبراطورية الرومانية، وفي هذه الأثناء عهد بومبي بسوريا إلى أحد الموظفين الرومان البارزين وهو جابينيوس-٥٧ ٥٥ق.م الذي عمل على فرض ضرائب باهظة على السكان وتقسيم الدولة إلى ٥ أقاليم يحكم كل منها مجلس، وأعاد نمابينيوس بناء عدد من المدن اليونانية- السورية التي كان المكابيون قد هدموها مثل السامرة وبيسان وغزة.

في تلك الفترة شهدت روما حروباً أهلية، ودب الاضطراب في الدولة الرومانية كلها؛ وهو ما أدى إلى انتقال هذه الاضطرابات إلى سوريا، وأثناء تقسيم العالم الروماني من قبل الحكومة الثلاثية، أصبحت سوريا ومصر تحت سلطة أنطونيو المعروف بعلاقاته مع كليوباترا ملكة مصر.

وفي هذه الأثناء أهمل أنطونيو الأسرة الكابية، ووضع مكانها الأسرة الهيرودية، وبرز من هذه الأسرة هيرودوس الكبير عام ٣٧ ق.م الذي أخذ أورشليم ووطد سلطته عليها وبقي على الحكم ما يقارب الثلاثة وثلاثين عاماً بدعم من روما. وكان لهيرودس الكبير فضل إعادة تعمير مدينة القدس وبناء بعض المرافق العامة .

الحكم اليوناني والروماني:

عام ٣٣٢ ق.م وصل الاسكندر الاكبر الى القدس عبر معاركه نحو الشرق، وبعد وفاته خضعت القدس لحكم البطالمة في مصر ثم السلوقيين في سوريا، وفي عهد الملك السلوقي انطيوخوس الرابع جرى تدمير الهيكل عام ١٦٥ق.م وأرغم اليهود على اعتناق الوثنية.

وفي عام ٦٣ ق.م خضعت المدينة للامبراطورية الرومانية بعدما استولى عليها القائد بومبي، وقد عامل الرومان اليهود معاملة حسنة وسمح لهم بتجديد بناء الهيكل، ورغم ذلك تمردوا في عهد الامبراطور نيرون الذي أرسل قائده تيطس لتأديبهم عام ٧٠م، فاحرق القدس ونهبها وسبى منهم عدداً كبيراً ثم تعرضت القدس للتدمير مرة اخرى عام ١٣٥ م في عهد الامبراطور هادريان بعد تمرد اليهود للمرة الثانية ورفض السماح لغير المسيحيين بالاقامة في المدينة وبمساعدة اليهود هاجم الفرس عام ٦١٤م مدينة القدس واحتلوها، إلى ان تمكن الامبراطور هرقل من استردادها عام ٦٢٧م.

حروب الروم والفرس:

انقسمت الإمبراطورية الرومانية عام ٣٩٥م إلى قسمين متناحرين: الإمبراطورية الغربية وعاصمتها روما، والإمبراطورية الشرقية أو البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية، وخضعت القدس مع باقي بلاد الشام للإمبراطورية الأخيرة وشجع الانقسام الروماني الفرس على الإغارة على القدس، فأمر شاه الإمبراطورية الساسانية، كسرى الثاني، قائدا جيوشه شهربراز وشاهين، بالسير إلى سوريا واستخلاص القدس من أيدي الروم، ففعلا ما طُلب منهما ونجحا في احتلالها، خصوصاً بعد أن ساعدهم اليهود في فلسطين، الذين كانوا ناقمين على البيزنطيين.

فتح الفرس المدينة سنة ٦١٤م، بعد حصار استمر ٢١ يوماً وتنص السجلات البيزنطية على أن الفرس واليهود ذبحوا آلاف المسيحيين من سكان القدس، وما زال هذا الأمر موضع جدال بين المؤرخين، حيث قال البعض بصحته ونفاه البعض الآخر واستمرت المدينة خاضعة للفرس طيلة ١٥ سنة، إلى أن استطاع الروم استعادتها سنة ٦٢٩م تحت قيادة الإمبراطور هرقل، وظلت بأيديهم حتى الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م.

الفتح العربي الاسلامي:

ارتبط المسلمون معنوياً بالقدس حتى قبل الفتح العمري لها، فقد كانت أول قبلة لهم، وهي مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن صخرتها المشرفة كان المعراج إلى السماء، لذلك كان المسلمون يتوقون إلى اليوم الذي يتم فيه فتح القدس، وقد تحقق لهم ذلك بعد الانتصار على الروم في معركة اليرموك، حيث توجه إليها القائد أبوعبيدة عامر بن الجراح، لكن بطريرك القدس صفرونيوس اشترط تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب شخصياً، فكان له ذلك عام ٦٣٦م حيث منح المسيحيين العهدة العمرية بالحفاظ على أموالهم وكنائسهم وحرية معتقداتهم الدينية مقابل الجزية.

ومنذ ذلك اليوم،أولى المسلمون القدس جل اهتمامهم، فعمروها بالمساجد والمدارس وغير ذلك، وأصبحت مقراً للعلماء والفقهاء وبلغ أوج الاهتمام بها في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، الذي أقام مسجد قبة الصخرة المشرفة عام ٧٢هـ الموافق ٦٩١م. ثم شرع في بناء المسجد الأقصى، قبل أن يتوفى ليكمله الوليد بن عبدالملك عام ٨٦هـ الموافق ٧٠٥م.

ثم أصبحت القدس محط زيارة للعديد من الخلفاء العباسيين، الذين أجروا العديد من التجديدات والاصلاحات على المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة.

الطولونيون والإخشيديون:

عندما بدأ الضعف يدب في السلطة المركزية ببغداد فدخلت القدس وفلسطين في حوزة الطولونيين سنة (٢٦٥ ـ٢٩٢هـ / ٨٧٨ ـ٩٠٥ م)، وتلاهم في حكمها الإخشيديون سنة (٣٢٧ ـ٣٥٩ هـ/ ٩٣٩ ـ ٩٦٩ م) وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين بدليل أن ملوكهم جميعاً دفنوا فيها بناء على وصاياهم .

الفاطميون والسلاجقة:

في سنة ٣٥٩ / ٩٦٩ م استولى الفاطميون على القدس، وقد تميز حكم الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ٤١١ هـ/ ٩٩٦ ـ ١٠٢٠ م) بالتعصب الديني واضطهاد النصارى فهدم كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس وأوقع بالمسيحية شتى أنواع الاضطهاد، ولكن ذلك لم يصبهم وحدهم فلم يكن المسلمون من رعاياه أفضل حالاً بكثير.

وفي عهد الدولة الفاطمية استطاع الصليبيون الاستيلاء على بيت المقدس عام ١٠٩٩ وبقي في أيديهم حتى عام ١١٨٧م إلى أن استطاع القائد صلاح الدين الأيوب تخليصها منهم بعد معركة حطين.

وقد أزال صلاح الدين الصليب عن قبة الصخرة، ورفع فيها المصاحف وعين أئمة ووضع في المسجد الأقصى المنبر الذي كان قد أمر نورالدين محمود بن زنكي بصنعه ودشن إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس أهمها مدرسة الشافعية (الصلاحية) وخانقاه للصوفية ومستشفى كبير (البيمارستان)، وأشرف بنفسه على تلك الإنشاءات، بل شارك بيديه في بناء سور القدس وتحصينه، وعقد في المدينة مجالس العلم.

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل الذي وقف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم على المغاربة، حماية لمنطقة البراق المقدسة، وأنشأ فيها مدرسة، وممن حكم القدس من الأيوبيين بعد الأفضل الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الذي أجرى تعميرات في كل من المسجد الأقصى والصخرة وأنشأ ثلاث مدارس للحنفية (وكان الحنفي الوحيد من الأسرة الأيوبية)، ولكن المعظم عاد فدمر أسوار القدس خوفاً من استيلاء الصليبيين عليها وضرب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف وتلى المعظم بعد فترة وجيزة أخوة الملك الكامل الذي عقد اتفاقاً مع الإمبراطور فردريك الثاني ملك الفرنجة، سلمه بموجبه القدس ما عدا الحرم الشريف، وسلمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط والاستنكار سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩ م وبقيت في أيديهم حتى ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م عندما استردها الملك الناصر داود بن أخي الكامل، ثم عادت إلى المسلمين نهائياً سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م عندما استردها الخوارزمية لصالح نجم الدين أيوب ملك مصر.

المماليك:

دخلت القدس في حوزة المماليك في سنة ٦٥١ هـ/ ١٢٥٣ م وفي عصر المماليك حظيت المدينة باهتمام ملحوظ وقام سلاطينهم: الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م) وسيف الدين قلاوون (حكم من ٦٧٩ –٦٨٩ هـ / ١٢٨٠ –١٢٩٠ م) والناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) والأشرف قايتباي (حكم من ٨٩٣ – ٩٠٣هـ / ١٤٨٦ –١٤٩٦ م) وغيرهم بزيارات عدة للقدس، وأقاموا منشآت دينية ومدنية مختلفة فيها كانت آيه للعمارة، وأجروا تعميرات كثيرة في قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ومنالمنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسة وسبعين ربط وعشرات الزوايا.

وفي سنة ٧٧٧ هـ جعلوا القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان في القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق ومن أثار المماليك في القدس انهم سحبوا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف، ومن أشهر المدارس التي أنشأوها المدرسة السلطانية الأشرفية والمدرسة التنكزية، وغدت القدس زمن المماليك مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله فكان يفد إليها الدارسون والمدرسون من مختلف الأقطار وقد اكتشف في الحرم القدسي سنة ١٩٧٤م وبعده وثائق مملوكية تلقى المزيد من الضوء على تاريخ المدينة.

العثمانيون:

في سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م وضع السلطان سليم العثماني حداً لحكم المماليك في بلاد الشام إثر انتصاره في معركة مرج دابق وفي السنة التالية احتل القدس ولما توفي السلطان سليم خلفه ابنه سليمان القانوني ٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠م الذي اهتم بالقدس اهتماماً خاصاً وأقام فيها منشآت كثيرة منها سور القدس الذي دامت عمارته خمسة أعوام، وتكية خاصكي سلطان، ومساجد وأسبلة، وعمر كذلك قبة الصخرة.

الاحتلال الصليبي:

رفعت الحملات الصليبية المتتالية زوراً وبهتاناً شعار انقاذ بيت المقدس من يد المسلمين، فتوجهت الجيوش الصليبية نحو الشرق عبر بلاد الشام، فاستطاعت احتلال القدس وإنشاء مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١٠٩٩م، لتخضع لحكمهم ٨٨ عاماً، ارتكب خلالها الصليبيون أبشع الجرائم فى حق سكان القدس وقتلوا غالبيتهم، ودنسوا المسجد الاقصى وحولوه إلى اسطبل لخيولهم.

صلاح الدين يحرر القدس:

لم يستسلم المسلمون لاحتلال القدس، فتصدوا لقتال الصليبيين في أكثر من مكان، واستطاع صلاح الدين الأيوبي بعد توحيد المسلمين أن ينتصر على الصليبيين في معركة حطين عام ٥٨٣ هـ الموافق ١١٨٧م، وأن يحرر بعدها القدس صلحاً، حيث سمح للصليبيين بمغادرة المدينة، وانزال الصليب عن قبة الصخرة، وأقام في المسجد الاقصى المنبر الذي عرف باسمه، وأعاد اعمار القدس بانشاء الخنادق والأسوار والأبراج الحربية للدفاع عنها اذا ما تعرضت لأي عدوان.

تعرضت القدس بعد ذلك لحكم الصليبيين مرتين الأولى عندما سلمها الملك الكامل عام ١٢٢٩م لملك صقلية فردريك لمدة ١١ عاماً حيث استردها الملك الناصر داوود ليعود ليسلمها مرة ثانية للصليبيين لمدة أربع سنوات، إلى أن استردها نهائياً الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٤م.

الاحتلال البريطاني:

إثر الحرب العالمية الأولى وانكسار الجيوش العثمانية أمام القوات البريطانية، فقد تمكن الجنرال اللنبي من دخول القدس والاستيلاء عليها عام ١٩١٧واستمر الاحتلال البريطاني حتى عام ١٩٤٨، وقد سعت بريطانيا خلال هذه الأعوام لتمكين اليهود من فلسطين، والسماح لهم باقامة المستعمرات حول القدس بينما عاملت السكان العرب بكل قسوة واضطهاد، مما مكن اليهود من الانتصار على العرب عام ١٩٤٨ واقامة دولتهم على معظم أرض فلسطين، بما في ذلك الجزء الغربي للقدس، بينما ضمت الأردن الضفة الغربية ومدينة القدس إليها بعد حرب ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧.

التاريخ المعاصر:

كان رؤساء بلدية القدس خلال المئة سنة الأخيرة قبل احتلال اليهود لها عرباً حتى إبان الانتداب البريطاني على فلسطين منهم: حسين الحسيني، موسى كاظم الحسيني، راغب النشاشيبي، مصطفى الخالدي وحسين فخري الخالدي وظلت القدس عربية، الشرقية منها والغربية، أي القدس القديمة والجديدة عربية بعدد سكانها وملكيتها ورئاستها، وما يحيط بها من قرى وثبت أن الحفاظ على المدينة المقدسة والأماكن الدينية فيها كان بسبب حكم العرب والمسلمين لها فلقد أثبت التاريخ أن وجود المدينة في أيدي العرب، من مسلمين ومسيحيين قد حافظ عليها وعلى المقدسات والأمن والسلام فيها، ولم تعرف في عهد اليهود إلا الخراب والدمار وتدخلت بريطانيا في فلسطين باسم حماية اليهود واستيطانهم فيها، لحماية قناة السويس وخدمة مصالحها في المنطقة وأنشأ اللورد بالمرستون قنصلية بريطانية في القدس عام ١٨٣٨ لتأييد أماني اليهود في فلسطين وإقامة وطن لهم فيها بحماية بريطانيا ووضعت بريطانيا عام ١٩٠٥تقرير كامبل لتجزئة الوطن العربي وعرقلة تقدمه والمحافظة على تخلفه وإقامة إسرائيل لمنع الوحدة العربية والمحافظة على المصالح الامبريالية، وأصدرت عام ١٩١٦وعد بلفور واحتل الجنرال اللنبي القدس في ١٩١٧ووضع الحلفاء في مؤتمر سان ريمو فلسطين تحت الانتداب البريطاني، الذي التزم بتحقيق وعد بلفور وفتح أبواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية ورفضت بريطانيا رغبة الفاتيكان عام ١٩١٧ وضع الأماكن المقدسة تحت إشراف إدارة دولية، لأن الفاتيكان لم يكن يرغب في وضع المصالح الكاثوليكية تحت رعاية بريطانيا البروتستانتية وإخضاع أماكن الحج المسيحية تحت السيطرة اليهودية عند إقامة الوطن القومي اليهودي تنفيذاً لوعد بلفور.

الاحتلال الإسرائيلي:

عام ١٩٤٨ توقفت القوات اليهودية على بعد امتار قليلة من أسوار القدس القديمة، وبعد قيام الدولة العبرية اتخذت من القدس الغربية مقراً للعديد من مؤسساتها السياسية والمدنية وأهمها الكنيست، واستمر هذا الوضع حتى حرب عام ١٩٦٧ عندما وقعت القدس بأكملها تحت القبضة اليهودية، وبادرت باجراءاتها نحو الضم والتهويد، حيث تم هدم حي المغاربة بالكامل وانشاء حي يهودي مكانه.

وفي ١٩٦٧/٦/٢٧أضاف الكنيست بنداً إلى قانون يقضي بضم القدس، كما حلت المؤسسات العربية الموجودة فيها وطردت محافظها، وأنشأت بلدية القدس، وبدأت في حملة استيطان واسعة لتطويق المدينة وخلق واقع ديموغرافي مختل لصالحها، والتضييق على السكان العرب ورفض منحهم رخص بناء وفرض ضرائب باهظة عليهم لدفعهم نحو مغادرة المدينة.

ثم وصل الأمر في ١٩٨٠/٧/٣٠إلى إقرار الكنيست الإسرائيلي للقانون الأساسي للقدس الموحدة،واعتبارها عاصمة موحدة لإسرائيل ومقراً للحكومة والكنيست ولم تسلم المقدسات الاسلامية في القدس من تدنيس اليهود ومحاولاتهم المستمرة لتدميرها، إذ أقدم يهودي استرالي عام ١٩٦٩على حرق المسجد الاقصى، كما تعرض مسجد قبة الصخرة لاعتداء مسلح عام ١٩٨٢،وأحداث اخرى كثيرة كان أخطرها عام ١٩٩٦، عندما أقدمت حكومة نتنياهو على حفر نفق تحت الأقصى يهدد بقاءه، فاندلعت الانتفاضة التي عرفت بانتفاضة نفق الاقصى مما أرغم إسرائيل على وقف الحفريات تحت الأقصى.

هذه هي القدس التي من يزورها يشعر بعبق التاريخ، ويكاد يسمع تحت أسواقها المسقوفة وعبر شوارعها المرصوفة صليل السيوف الاسلامية وهي تدافع عن عروبتها عبر تاريخها ضد الغزاة، لكن القدس اليوم مدينة كئيبة يخيم الحزن على أرجائها، وتنام قبل مغيب الشمس، وكأنها مدينة مهجورة، بينما تبقى الأجزاء الغربية منها ساهرة حتى الفجر، وتمنع قوات الاحتلال الإسرائيلي الفلسطينيين من زيارتها إلا بتصاريح خاصة، والاستثناء الوحيد لهذه الحالة يكون في شهر رمضان حيث يقصد ساحاتها المقدسة مئات الآلاف من المصلين، فتدب الحياة فيها.

ومن الملاحظ عبر مسيرة القدس الطويلة ان استعادة المسلمين لها جاءت في المرتين السابقتين صلحاً وسلماً، لكن بعد معركتين فاصلتين شهيرتين على أطراف فلسطين هما معركتا اليرموك وحطين فهل تتم استعادتها حالياً سلماً وصلحاً أم أن الأمر بحاجة إلى معركة فاصلة مع اليهود حتى تتم استعادتها ويفك أسرها ويزول حزنها؟؟!.

الباب الرابع
أصل حكاية القدس عاصمة لإسرائيل

قانون نقل السفارة عام ١٩٩٥:

بجرة قلم أعلن الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، اعتراف بلاده بمدينة القدس المحتلة عاصمة لدولة الاحتلال الإسرائيلي، ضارباً بكل التحذيرات العربية والغربية عرض الحائط ترامب المتهوّر قرر أخيراً إعلان القدس عاصمة لإسرائيل، ليقضي بذلك على أحلام ملايين الفلسطينيين الذي يتمسكون بالمدينة المقدسة عاصمة لدولتهم التي يأملون بإقامتها على حدود ١٩٦٧.

والأربعاء ٦ ديسمبر ٢٠١٧، أعلن ترامب الخطير وأمر بنقل سفارة بلاده من تل أبيب إلى المدينة المحتلة، في خطوة أثارت موجة كبيرة من الإدانات على مختلف الأصعدة، لا سيما من الدول العربية والإسلامية وثمة علامات استفهام كثيرة توضع على ما ستؤول إليه خطوة ترامب، وتأثيرها على الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية في الأراضي الفلسطينية، والقدس المحتلة خصوصاً، بعد تنفيذ القانون الذي تأجل نحو ٢٠ عاماً.

بداية الحكاية:

منذ أكثر من ٢٠ عاماً، كان الرؤساء الأمريكيون المتعاقبون مطالبين كل ستة أشهر بتقرير إن كانوا سينقلون سفارة بلادهم من تل أبيب إلى القدس المحتلة، وكانوا جميعاً يحتمون بالتأجيل المستمر.

عام ١٩٨٠ ضمّت إسرائيل الجانب الشرقي من القدس بعد احتلالها بالكامل سنة ١٩٦٧، لكن المجتمع الدولي لم يعترف بإعلان سلطات الاحتلال المدينة المقدّسة عاصمة لهم وظل الموقف الدولي يعترف بهذا الجزء فلسطينياً.

الولايات المتحدة الأمريكية كانت إحدى الدول التي لم تعترف بالخطوة الإسرائيلية، وأبقت قنصليتها بمدينة القدس في حين قررت دول كثيرة نقل ممثلياتها في غرب القدس إلى تل أبيب.

سنة ١٩٩٠، نص قرار للكونجرس الأمريكي على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس المحتلة، وبعدها بخمس سنوات صدر قانون نقل السفارة الأمريكية، الذي تنكّر لتاريخ القدس والسيادة الفلسطينية العربية الإسلامية القانون تضمّن ٣ بنود؛ الأول أن تبقى القدس موحدة غير مجزأة، والثاني يعترف بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، أما البند الثالث فيلزم الإدارة الأمريكية بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس في أي وقت مناسب يحين.

لكن هذا القانون لم يُنفذ على الرغم من أن الرئيس الأمريكي، جورج بوش الابن، وقع في سبتمبر ٢٠٠٢ قانوناً أقره مجلس الشيوخ الأمريكي ينص على أن القدس الموحدة عاصمة للاحتلال الإسرائيلي.

أما حقبة الرئيس السابق باراك أوباما ٢٠٠٩ - ٢٠١٧، فشهدت تفادياً لتطبيق القرار، خوفاً من تفجير حالة من الغضب لدى الفلسطينيين، إذ أرجأ أوباما أكثر من مرة قرار نقل السفارة، بموجب قانون سنة ١٩٩٥، الذي كان يجيز تأجيل العملية مدة ستة أشهر.

صدر القانون سنة ١٩٩٥، في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون ١٩٩٣-٢٠٠١، وقضى بنقل سفارة الولايات المتحدة من تل أبيب إلى القدس المحتلة، بحلول عام ١٩٩٩ أو متى يحين الوقت المناسب وأقرّ القانون إمكانية تأجيل هذه الخطوة ستة أشهر كل مرة، بناءً على طلب مسبق يقدمه الرئيس الأمريكي للكونجرس، بداعي حماية مصالح الأمن القومي للولايات المتحدة.

ويعتبر زعيم الأغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ بوب دويل، عرّاب القانون، وهو قائد جهود تمرير القانون فى الكونجرس، كما أنه كان أول من تقدم بمشروع قانون بشأن نقل السفارة ويأتي دعم الولايات المتحدة للقانون في إطار أنه يصب في مصلحة أمريكا التي تُفضل رؤية عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين أكثر استقراراً قبل مواجهة قضية القدس وخُدع بعض الساسة الفلسطينيين بالقانون.

الأوضاع الساخنة التي شهدتها الأراضي الفلسطينية تصاعدت بين ٢٠٠٠ و٢٠٠٧، إذ انتهت ولاية كلينتون وبدأت فترة حكم بوش الابن الذي وقع قانون القدس الموحدة سنة ٢٠٠٢، وأقره مجلس الشيوخ الأمريكي هذا القانون أثار غضب واستنكار شديدين في جميع العواصم العربية والإسلامية، في حينه، واعتبرته الدول العربية خطيراً، وقالت إنه يهدد الاستقرار في المنطقة، فضلاً عن أنه دليل على الانحياز الأمريكي لدعم الاحتلال الاستيطاني اليهودي في القدس وفلسطين وانشغل جورج بوش الابن بالحرب على العراق، في حين استمرت هبّة الجماهير في الأرض الفلسطينية، وجهود عملية السلام التي انجرّت إليها السلطة دون تحقيق شيء لمصلحة القضية، إلى أن جاء أوباما إلى الحكم في محطة أوباما، حاولت واشنطن تفادي تطبيق القرار قدر المستطاع، خوفاً من تفجير حالة من الغضب لدى الفلسطينيين

وقد أجّل الرئيس الديمقراطي نقل سفارة بلاده إلى القدس المحتلة أكثر من مرة،رغم الضغط الكبير الذي كان يلعبه اللوبي الصهيوني على الإدارة الأمريكية الضربة الحاسمة كانت عبر ترامب، الذي وعد خلال حملته الانتخابية بتنفيذ القرار الأمريكي، إلى أن أعلن أخيراً أنه آن الأوان لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وإعلان القدس عاصمة لإسرائيل

ويرى محللون أن ترامب الذي تسلم إدارة البيت الأبيض في يناير ٢٠١٧، يحاول كسب دعم المحافظين من خلال هذا القرار، وأن يحقق لنفسه مجداً شخصياً، معربين عن تخوفهم من أن تضر الخطوة بمصالح واشنطن فى الشرق الأوسط.

وقد تكون هذه الأسباب ساعدت ترامب على الوفاء بوعده، إلى جانب ما آلت إليه الظروف السياسية في الشرق الأوسط عقب موجة الربيع العربي، إضافة إلى أنه كسب دعماً وتأييداً من دول عربية ، ساعدته في تنفيذ قراره.

الأماكن المتوقعة لنقل السفارة:

العديد من التقارير الإعلامية الإسرائيلية رصدت المواقع التى من الممكن نقل السفارة الأمريكية إليها من تل أبيب، بعدما قال ترامب إنه سيوجه للجهات المعنية في البيت الأبيض بمباشرة إجراءات نقلها والمواقع المقترحة هي شارع جيرشون آجرون أو شارع ديفيد فلوسر، أو المركز الأمريكي في القدس وهو مركز تعليمي ثقافي، وربما تُنقل إلى البيت الأمريكى الذي يضم المركز الثقافي للقنصلية الأمريكية، أو إلى منطقة تالبيوت.

وكانت أمريكا قد وقعت مع إسرائيل في ١٩ يناير ١٩٨٢، وتحديداً في اليوم الأخير لولاية الرئيس الأمريكي الأسبق، رونالد ريجان، وثيقة خطيرة تتناول وضع القدس العربية المحتلة وسميت هذه الوثيقة بـاتفاق إيجار وشراء الأرض، إذ حصلت الحكومة الأمريكية بموجبها على قطعة أرض من أملاك الوقف الإسلامي والأملاك الفلسطينية الخاصة في منطقة غرب القدس المحتلة عام ١٩٤٨ لبناء السفارة الأمريكية عليه.

ما معني أن تصبح القدس عاصمة لإسرائيل؟

أن تصبح القدس عاصمة لإسرائيل يعني أنها أصبحت بشقيها الشرقي والغربي تحت إمرة الاحتلال والسيادة الإسرائيلية الكاملة على المدينة، ما يفرض سياسة أمر واقع على خيار المفاوضات المتوقفة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية.

وتسعى الإدارة الأمريكية حالياً إلى إحياء المفاوضات، التي توقفت منذ أبريل ٢٠١٤، بعد رفض إسرائيل وقف الاستيطان، والإفراج عن معتقلين قدامى داخل السجون، والقبول بحل الدولتين على أساس حدود ١٩٦٧.

ويترتب على قرار ترامب أيضاً أنه يعطي الحق لإسرائيل في السيطرة والتوسع وبناء عاصمتها بالشكل التي تريده، متجاهلة كل القرارات الدولية المتعلقة بالحفاظ على الموروث الثقافي الإسلامي والمسيحي أضف إلى ذلك أن ترامب نسف كل الحقوق المطالبة بحرية زيارة الفلسطينيين والعرب للأماكن المقدسة في المدينة، بحجة الحفاظ على أمن العاصمة والتي تمثل أمن واستقرار الدولة الإسرائيلية كذلك، فإن الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل يعني رفع الوصايات الدولية والعربية والإسلامية عن المدينة المقدسة، وهو ما يسعى إليه الاحتلال، بما يمكّنه من بناء قواعد عسكرية هناك تسمح بدخول الجيش رسمياً متى شاء.

واقتصادياً، فإن خطوة ترامب المتهورة تعني ارتفاع معدلات البطالة والفقر في أوساط الفلسطينيين داخل المدينة المقدسة، التي يعاني سكانها أوضاعاً أمنية ومضايقات من قبل الاحتلال، إضافة إلى ازدياد أعمال التهجير والإبعاد عن القدس.

ردود الأفعال الدولية تجاه قرار ترامب:

في صفعة للادارة الأمريكية رغم التهديد بقطع المساعدات المالية حيث تم اعتماد مشروع قرار وضع القدس في الأمم المتحدة بأغلبية ساحقة حيث صوت ١٢٨ عضواً في الأمم المتحدة لصالح قرار يدين اعتراف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل، و عارض ٩ أعضاء، وامتنع عن التصويت ٣٥ عضوا، في صفعة للادارة الأمريكية رغم تهديد الرئيس ترامب بقطع المساعدات المالية للدول المؤيدة للقرار واعتبرت الرئاسة الفلسطينية أن تمرير قرار القدس يعبر مجدداً عن وقوف المجتمع الدولى إلى جانب الحق الفلسطيني ولم يمنعه التهديد والابتزاز من مخالفة قرارات الشرعية الدولية واعتبر السفير الفلسطيني لدى الامم المتحدة أن تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة ضد اعتراف واشنطن بالقدس عاصمة لاسرائيل يشكل هزيمة كبيرة لواشنطن واعتبرت حركة حماس، قرار القدس الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة ينسف إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الاعتراف بالمدينة المحتلة عاصمة لإسرائيل ودعا إلى ترجمة القرار على الأرض وإنقاذ القدس من التهويد والحفريات والاستيطان الإسرائيلي وتقدم بالشكر للدول التي صوتت لصالح فلسطين ووقفت إلى جانب حقوق شعبها في أرضه ومقدساته رغم كل الضغوط الأمريكية.

ورفض الكيان الصهيونى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي أدان اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة له وانضمت سبع دول هي جواتيمالا وهندوراس وتوجو وميكرونيزيا وناورو وبالاو وجزر مارشال إلى إسرائيل والولايات المتحدة في التصويت ضد القرار وقد تم رفع مشروع القرار إإلى الجمعية العامة بعد أن استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضده في مجلس الأمن رغم تأييد جميع الدول ال ١٤ الأخرى.

وقالت السفيرة الاميركية نيكي هايلي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أن الولايات المتحدة ستتذكر هذا اليوم وسننقل سفارتنا في القدس بمعنى أن أي تصويت في الأمم المتحدة لن يغير شيئاً، وفي حين أن قرارات الجمعية العامة غير ملزمة، فالتصويت الكثيف يشكل وزناً سياسياً وجاء انعقاد الجلسة بناء على طلب دول عربية وإسلامية بشأن قرار الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل في ٦ ديسمبر ٢٠١٧ويطالب مشروع القرار بعدم جواز تغيير طابع مدينة القدس، ويدعو جميع الدول إلى الامتناع عن إنشاء بعثات دبلوماسية في مدينة القدس.

وقال مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة، داني دانون، إنه لا شيء سيبعد إسرائيل عن القدس واتهم الأمم المتحدة بالكيل بميكيالين واستطرد إسرائيل تهاجم بالصواريخ التي تستهدف مدنيين، وهذه المنظمة يجب أن تنظر إلى هذه الحقائق ولا تلتزم الصمت ونقول لكم: أورشليم كانت وستبقى عاصمة إسرائيل واعتبر أن من يدعمون قرار الأمم المتحدة الذى لا يقدم ولا يؤخر، وأن من يدعمونها دمى، وهذا القرار ليس أكثر من إلهاء، وسيذهب إلى مزبلة التاريخ وقال ممثل فنزويلا الذي تحدث باسم حركة عدم الانحياز، إن المنظمة طلبت بالتعاون مع الدول العربية والإسلامية عقد هذه الجلسة للتعبير عن شعوب العالم الحر ومجلس الأمن غير قادر على ممارسة مسؤولياته، وقد شاهدنا هذا عندما استخدمت أمريكا حق

والقدس جزء لا يتجزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة، والدول الأعضاء في حركة عدم الانحياز تعبر عن انزعاجها البالغ بعد قرار ترامب بشأن القدس ونقل سفارة بلاده لها وقال ممثل باكستان: الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي وينتهك قرارات عديدة صادرة عن المنظمة الأممية، ونحن في مفرق تاريخي والتطورات الأخيرة يجب أن يكون لها ردود سريعة منا، ويجب أن نعيد الالتزام بالحقوق الفلسطينية.

واستخدام الفيتو استراتيجية في غير محلها، والقرار الذي سنتخذه اليوم يقول للعالم أننا لن نشترك في أي عمل غير قانوني، مشيراً إلى أن دعم القدس كانت ركيزة سياسة باكستان، وسنظل ثابتين على مواقفنا رغم التهديدات التي تلقيناها مؤخراً ونرفض القرار الذي اتخذته أمريكا بشأن القدس، فدولة فلسطينية قابلة للحياة على حدود ١٩٦٧ تظل الضمان الوحيد لسلام عادل ودائم في الشرق الأوسط، وأي خطة أخرى لن تنجح ولن يتم قبولها وقال ممثل إندونيسا إن بلاده لا تقبل أي أنشطة تهين الأمم المتحدة، مشيراً إلى أنه محاولة لتغيير طبيعة الأراضي الفلسطينية والقدس ليس لها أي شرعية دولية والأمر يتعلق بنا اليوم كأمم محبة للسلام، والشعب الأندونيسي يتوقع من الأمم المتحدة، التي انتهكت قراراتها بفداحة، أن تقف موقفاً صلباً ضد أي قرار مناقض للموقف الدولي فدعمنا للقدس لن يلين.

وقال ممثل بنجلاديش إن التطورات الأخيرة قد تؤدي إلى توتر جديد ربما ينتقل إلى مناطق أخرى في العالم، فالوضع القانونى للقدس ثابت، وتؤكد بنجلاديش على موقفها بأن القدس الشرقية عاصمة فلسطين، مطالباً بأن تكون التسوية في الشرق الأوسط هدفها تحقيق السلام.

وقال ممثل كوبا: تضم كوبا صوتها إلى بيان فنزويلا نيابة عن دول عدم الانحياز، وإلى بيانات اليمن وتركيا فموقف بلادي بشأن الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل يرفض القرار ويعتبره انتهاك لميثاق الأمم المتحدة وانتهاك للقرارات الأممية ذات الصلة والقرار الأمريكي يسيء للأمم الإسلامية والعربية وسيكون له تداعيات خطيرة على السلام والاستقرار في الشرق الأوسط وسيعيق كل جهود استئناف مفاوضات السلام.

وقال ممثل إيران إن إسرائيل ارتكبت سلسلة جرائم ضد الفلسطينيين دون حساب،وأن أمريكا كانت تدعم هذه الجرائم باستخدام حق النقض ، عندما اعترضت على مشروع القرار الخاص برفض قرار ترامب بشأن القدس.

وقال ممثل الصين: ننادي المجتمع الدولي أن يقوم بجهوده لتحقيق السلام، مشيرا إلى أن حل الدولتين يقود إلى تسوية سياسية، ويجب على المجتمع الدولي أن يعتمد على قرارات الأمم المتحدة لحل المسائل الخاصة بالوضع النهائي للقدس والصين كانت من كبار داعمي عملية السلام في الشرق الأوسط وندعم حق الشعب الفلسطيني في دولة على حدود ما قبل ١٩٦٧ وعاصمتها القدس وموقفنا لن يتغير ويجب تعزيز عملية سياسية على أساس حل الدولتين.

وقال ممثل ماليزيا إن ماليزيا ترفض قرار أمريكا بشأن القدس، مشيراً إلى أنه يؤثر على جهود السلام وخلق شعور بالاحباط لدى الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة وقرار أمريكا يعد انتهاكاً لحق الشعب الفلسطيني ويتناقض مع قرارات الأمم المتحدة التي تؤسس لعملية السلام التي تجعل القدس ضمن الوضع النهائي للتفاوض على حل الدولتين وقال القدس في صميم القضية الفلسطينية، والاعتراف بها عاصمة لإسرائيل يعد موافقة على احتلال إسرائيل لفلسطين ويؤثر على جهود مكافحة الإرهاب.

الباب الخامس
القدس بين الحقيقة والتزييف

في طيات الحديث عن تاريخ القدس القديم سوف نشير إلى تواريخ بعض الأحداث المزعومة حسب روايات العهد القديم ، والتواريخ المعطاة من خلال الحفريات الأثرية اعتمادا على دراسة الطبقات والنماذج الأثرية ، والكربون المشع (١٤) والتحليل :

٩٣١ – ٩٣١ ق م ملك رحبعام بن سليمان ، وانقسام المملكة إلى مملكتين في الشمال مملكة إسرائيل ، وفي الجنوب مملكة يهوذا .

٩١٠ – ٩٣١ ق م ملك يربعام بن سليمان على مملكة إسرائيل .

٨٧٤ – ٨٨٥ ق م قيام مملكة بيت عمري التي حاضرتها ما عرف باسم مدينة سمر أو السامرة .

٨٥٣ – ٨٧٤ ق م ملك أحاب بن عمري .

٧٢٢ – ٧٢٣ ق م استيلاء الآشوريين على سمر (السامرة) وتهجير أهلها واحلال قوم جدد محلهم .

٥٨٦ – ٦٠٥ ق م سقوط الدولة الآشورية ، وقيام دولة بابل الثانية الكلدانية.

٥٣٨ – ٥٨٧ ق م السبي البابلي .

٥٣٨ – ق م استيلاء قورش على بابل .

٣٣٣ – ٥٣٨ ق م الحكم الإخميني لبلاد الشام ، وكذلك مصر .

٣٣٦ ق م ظهور الإسكندر المقدوني .

١٤١ ق م قيام كيان الحشمونيين أو المكابيين .

٦٣ ق م استيلاء بومبي باسم روما على بلاد الشام .

٣٧ ق م – ٤ م ملك هيرود الكبير .

٧٣ – ٦٦ م تدمير فسبسيان الروماني لفلسطين وإبادة أهلها .

ولدى التعامل مع الأرقام المبكرة من هذه التواريخ المفترضة لم يمكن العثور على ما يؤكد دخول إبراهيم إلى فلسطين ، وبينت الدراسات النقدية لنصوص التوراة ، أن أخباره أضيفت إليها في تاريخ لاحق ، في حوالي القرن الميلادي الأول ، وأودعت في سفر التكوين ، ثم إن عمليات المسح الكامل للبحر الميت لم تكشف عن غرق مدينتي سدوم وعمروة فيه ، وحين ذهب باحثان أمريكيان إلى أن موقع باب الذرا هي سدوم ، و النميرية هي عمورة تبين أن هذين الموقعين قائمان على مقربة من البحر الميت ، وليس فيه ، وأن الحياة توقفت فيهما عام (٢٣٥٠ ق م) ، ولم يعثر في البقايا الأثرية على ما يشير إلى حياة غير عادية ، لا سيما بعد اكتشاف المقابر هناك ، وفحص بقايا الهياكل العظمية ، ولا نستهدف هنا نفي خبر إبراهيم الخليل ، ولا خبر قوم لوط ، بل التذكير بأن حياة إبراهيم مرتبطة بمكة المكرمة ، وبناء البيت الحرام فيها ، وأن الشذوذ الجنسي لم يمارس في بلاد الشام ، وأن القرآن الكريم حين أتى على ذكر ما حل بقوم لوط لم يحدد لا الزمان ولا المكان (أنظر سورة هود – الآيات : ٧٣-٨٣) وفيما يتعلق بموضوع الخروج ، وقبل ذلك الدخول إلى مصر ، فهو مختلف تماماً ، لأن وصف البلاد التي كان منها الخروج لا ينطبق على مواد سفر الخروج ، ثم ما من واحد من ملوك مصر ، لا سيما أيام حكم الهكسوس حمل لقب فرعون ، بل عرف الملوك بملوك مصرً العليا أو السفلى ، أو هما معاً والفرعون بالعربية هو الطاغية المتسلط ، وفي القرآن الكريم نقرأ في سورة الفجر (إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبا لمرصاد).

وواضح من هذه الآيات الفرق بين الأعمدة والأوتاد ، وأظهرت الحفريات الأثرية والمسح الشامل لشبه جزيرة سيناء وبرهنت أنها لم تعرف حوادث ما عرف بالخروج ، ولم يفصل سيناء عن مصر أي بحر (قبل حفر قناة السويس)، وشكلت سيناء بين بلاد الشام ومصر أنه لم يكتشف أى أثرً للمواصلات ، وهذا الجسر لم تتوقف عليه الحركة قط بين جسرا البلدين وما قيل عن عبودية اليهود في مصر ، وتسخيرهم في بناء الأهرامات محض اختلاق ،لأن الأهرامات بنيت حوالي ٢٥٠٠ ق م وتم الكشف عن مقابر الذين أسهموا في بناءً هذه المقابر العملاقة ، فتبين أنهم من أهل مصر ، علماً بأن اليهود حملوا دوماً البغضاء لمصر ودأبوا في العصر الحديث على التشهير بها وبتاريخها المجيد ، بأعمال التبشير ، وبالأفلام السينمائية ، وظلوا يضغطون على حكامها حتى ورطوها في كامب ديفيد ، مما ألحق أضراراً بها وبالأمة العربية لا يمكن تقديرها وعما ورد في سورة التين قوله جل وعلا بالنسبة لسيناء (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الآمين نقول : قد يكون المقصود هنا جبل شبه جزيرة سيناء أو جبل القديسة كاترين وهذا الجبل مقدس لدى النصارى وليس لدى اليهود ، والقديسة كاترين مصرية لها حكاية طويلة في آداب اللاهوت المسيحي ، ومرة أخرى نواجه سؤالاً آخر حول المكان الذي هرب إليه النبي موسى ، وحول مدين النبي شعيب ، فالإشارة التي وردت في القرآن الكريم ذكرت اسم مكان أسمه طوى وأن موسى عليه السلام مر بهذا المكان ، فأخلع نعليك إنك بالواد المقدس ط وى أثناء سفره ، وقد تناول هذا الموضوع ياقوت الحموي في معجم البلدان فبين اختلاف الآراء حول ُ أي ط وى مرتين ، أي قدسُ بالواد المقدس ط الموضوع ، وروى أن من معاني وى – موضع عند وثنبت فيه البركة والتقديس مرتين وأضاف أن ذي طوى – بالضم أيضا مكة ومثل هذا هناك عدم اتفاق حول تحديد مكان مدين ، حيث عاش النبي شعيب الذي أسمه عند اليهود يثرو

بأن بعض الدراسات الحديثة الموجهة من قبل إسرائيل والصهيونية ذهبت إلى القول الآن بأن بلاد مدين هي منطقة تبوك ، وأن جبل موسى أو حوريب هو جبل اللوز هناك ، وأن عبور البحر كان عند خليج العقبة ، ودوافع هذا التوجه محض سياسة توسعية تستهدف السيطرة الإسرائيلية على خليج العقبة تماماً من جميع الجهات ، وتثبت ذريعة للتوسع المستقبلي في شبه جزيرة العرب.

ودللت نتائج الحفريات الأثرية على عدم دخول هجرة بشرية مدمرة أو غير مدمرة إلى أرض كنعان منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، لذلك مال الكتاب الغربيون والصهاينة والذين يدورون فى فلكهم إلى القول بأنه لم يكن هناك هجرة ، بل تسرب سلمي ، دون تحديد لمصدر هذا التسرب ، لا بل عدم اتفاق على هوية المتسربين وتعدادهم ، وبالفعل هذا كله اختراع ، والاختراع في التاريخ زيف ، فقد برهنت المكتشفات الأثرية على أن أريحا لم يلحقها التدمير نتيجة هجوم أو غير ذلك ، ومثل هذا بقية مدن فلسطين التي كانت موجودة آنذاك وذهبت روايات التوراة إلى أن موسى لم يدخل إلى فلسطين ، بل وصل إلى منطقة الأرض المقدسة أو أرض الميعاد ثمّ أردن اليوم وصعد إلى قمة جبل ، ومن الصعود إلى قمة هذا الجبل في هذه الأيام لا يمكن مشاهدة أي شيء مما ورد ذكره في التوراة ، ومن المؤكد أن موسى لم يصل إلى هذا الجبل ، ولا إلى أية منطقة في بلاد الشام وقالوا أن موسى قد دفن فيه لقداسة هذا الجبل منذ القدم ، وبالفعل كان هذا الجبل مقدساً ولذلك استعار كتاب التوراة اسمه ، لأن قمته وسفوحه ، والوادي دونه ، فيها مقابر كثيرة فقد جرت الحفريات الأثرية في هذا الجبل منذ عام ١٩٣٣ م ، وتبين أنه أستخدم بمثابة مقبرة منذ الآلف الرابع قبل الميلاد،وأن أقدم أنواع القبور فيه قدعرفت باسم Dolmens وهي منشآت حجرية كبيرة جدا كل مستدير ولها فتحة من جهة الشرق ، وتم العثور عليه في هذه القبور.

وإلى جانب مقابر الدلمون جرى اكتشاف مجموعة أخرى من القبور ، يعود تاريخها إلى أكثر من ألفين قبل الميلاد ، وأفادت هذه المكتشفات أن العرب القدماء ، خاصة البداة منهم اعتادوا على القدوم إلى جبل نبو ، حيث توفر نبع غزير من الماء ، مع بعض المراعي ، فلقد كانوا يقدمون من أيام الربيع حاملين معهم أجساد موتاهم لإعادة دفنها ، وكانت هذه عادة مورست في أجزاء أخرى من فلسطين ، ومعلوم أن كتبة التوراة لم يتحدثوا عن كيفية موت موسى ، بل قاموا بسرقة العادة العربية الفلسطينية ، وادعوا جبل نبو لأنفسهم ، ويرجح أنهم فعلوا هذا لدى إحدى مراحل إعادة النظر في القداسة.

ونشير هنا إلى أن الحفريات الأثرية في القدس لم تظهر ولا أدنى إشارة إلى بناء هيكل سليمان ، وأهم من هذا أن هذه المدينة – كبلدة أو مدينة – لم تكن موجودة قبل أواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، وارتبط قيام هذه البلدة ، واكتشاف نبع سلوان ، ثم انهيار الدولة الآشورية ، مع تهديم حاضرة بيت عمري العربية واسترداد مصر لقوتها مع التبدلات التي رافقت ذلك في الاستراتيجيات والتسليح وفنون الحرب ، وطرق التجارة ، والقرب من شواطئ البحر المتوسط ، وتصدي المصريين للتوسع الكلداني في فلسطين، ومع هذا التوسع الذي هدد مصر ، وأعاد إلى الذاكرة الاحتلال الآشوري لها.

بهذه المملكة تتعلق الإشارة إلى آحاب ومشاركته في معركة قرقر على نهر العاصي ضمن التحالف الآرامي ضد الآشوريين ومن القواعد الواجب الالتزام بها في الأبحاث التاريخية الجادة ، التمهيد بتقديم دراسةً لخطورة موضوع تاريخ القدس ،لأهم مصادر البحث ومصادر التاريخ القديم للقدس كثيرة ، تتصدرها نتائج الحفريات الأثرية فيها ، وفي فلسطين كلها ، مع جميع أنحاء بلاد الشام ، والنقوش المصرية القديمة ، ونصوص ونقوش بلاد الرافدين ولا سيما الآشورية.

ولا بد من التنبيه أولا إلى أن نصوص النقوش والكتابات القديمة تحتاج إلى إعادة قراءة وضبط لأن الزيف لحق قراءة معظم النصوص التي لها علاقة بالقدس ، وما برح الباحثون العرب يعتمدون في الغالب على قراءة غير العرب لهذه النصوص ، مع أن العدد الكبير من أوائل الأثريين كانوا إما من رجال اللاهوت ، أو تحت تأثيرهم ، وصار الأثريون أو لنقل أكثريتهم ، يعملون فيما بعد بتوجيه من الصهيونية ، وما برح هدف الأجيال الغربية ، تثبيت ما ورد من أخبار في العهد القديم ومن أهم النصوص ، الذي عثر عليه في مصر كثير جداً اللعنة ونقش مرنبتاح ورسائل تل العمارنة ومن المقرر أن نصوص اللعنة تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وقد كتبت هذه النصوص على آنية من الفخار ، وبعض الدمى بالخط الهيراطيقي ومثلت هذه الدمى أسرى مربوطين ، كشف عنها في سقارة وطيبة ، وهي محفوظة في كثير من المتاحف في أنحاء العالم، ويوجد منها نماذج في متحف القاهرة ، والأسماء التي وردت في هذه النصوص : مصرية ، ونوبية ، وسورية (آسيوية) ، ويقول أحد النصوص بعد ذكره لاسم الشخص الملعون وأسرته مع حلفائهم والمشتركين معهم ، الذين يثورون أو يتآمرون ، أو يقومون بالحرب ، أو يفكرون فى الثورة في جميع أنحاء البلاد أو جميع الرجال ، وجميع الناس ، وجميع الشعب ، وجميع الذكور ، وجميع الخصيان وجميع الذين يحاولون الثورة أو التآمر ويفكرون بالحرب وكل كلمة شر ، وكل مقالة سوء ، وكل مؤامرة وبعد كتابة الأسماء والمطالب ، كان المصريون القدماء يكسرون هذه القطع الفخارية ،وكأنهم كانوا يعتقدون أنه يمكن بهذه الواسطة إحباط أي عمل عدواني ضد مصر ، ورواسب هذه العادة ما تزال تمارس حتى الآن في مصر وبلاد الشام ، وكان لها مثل فعل السحر وتأثيره،وذلك مع الاعتقاد بأن الحرف كائن حي ، ومن الأسماء السورية الآشورية التي وردت في وأشام نصوص اللعنة : بيبلوس (جبيل) وعسقلان ، وأوزو.

وهذا تدليس مكشوف ، لأن المعطيات الأثرية بينت أن مدينة القدس لم تكن قد تأسست بعد ، لأنها تأسست في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، وحملت اسم أورشليم بعد ليس أقل من ألف عام أما نقش مرنبتاح (١٢١٤ -١٢٢٤قم) فقد كتب على صخرة سوداء ، ويتكون من ثمانية وعشرين سطرا ، تحدث فيه هذا الملك عن انتصاراته وانجازاته ضد الليبي وبعض مدن فلسطين ، حيث قال في السطر السادس والعشرين : وانبطح كل الزعماء طالبين السلام ، ولم يعد أحد يرفع رأسه من بين التسعة ، وأمسكت التحنو ، وخاتي هدأت ،وأن سكانها المؤسسين لها كانوا العرب اليبوسيين وأن ملكي صادق كان أول ملوك هذه المدينة.

وهذا العرض ، وأن كان يبعث في أيامنا السرور في بدايتة بالنفس ، فهو ملفق ولاصحة له ، يتعارض تماما مع معطيات الآثار ، كما أنه لا يتوافق مع ما ورد في القرآن الكريم ،وهو قد بعث السرور في البداية على أساس أن العرب اليبوسيين هم الذين أسسوا المدينة ، وهنا نرى أن يبوس سمه للمكان ، وأن هذه السمة من المفترض قد منحت اسمها لسكانها ، وأما الحديث عن ملكي صادق وإبراهيم الخليل فأسطوري كامل ، اخترعه كتاب العهد القديم للقول بأن ملكي صادق قد عهد إلى إبراهيم ، وأن إبراهيم قد أورث شرعيته إلى ابنه اسحق وهكذا إلي يعقوب فالأسباط ، وهذا أمر لا يمكن إثباته عن طريق الآثار ، يضاف إلي هذا أن القرآن الكريم لم يذكر ملكي صادق ، ولم يذكر أن إبراهيم الخليل قد قام بأية حروب ، ثم إن الاتصالات مع العراق لم تكن قط تتم عبر العراق والحجاز إذا قبلنا برواية أن إبراهيم كان أصلاً فى فلسطين وأن إسماعيل كان هو الابن الأول لإبراهيم وبإبراهيم وإسماعيل الذبيح، ارتبط حدث إعادة بناء الكعبة في مكة المكرمة ومع إعادة البناء هذه الايذان بالحج ، ومادمنا مع موسى عليه السلام ، فبلد السحر قديما هو بابل .

وهذا واضح في قوله تعالى : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) ، كما أن بلاد بابل هي بلاد الأبراج والزقورات ، واستخدام الطوب المجفف بالشمس أو المشوي بالنار في حين نجد أن آثار أرض الكنانة شاهدة على أنها بلاد الحجارة والبناء بها وحين ننتقل إلى مسألة كل من داود وسليمان ، نجد أن صورة داود في القران الكريم تختلف عنها في العهد القديم ، فهو في العهد القديم : فتى أفاق مارس أعمال رعاية الأغنام ،ثم شكل عصابة من حوله ، وتشرد وتخفى في عدة أماكن، حتى قتل سيده ، واستلم السلطة من بعده ، وفي أيام سلطته كان بيته بؤرة دعارة ، وكانت لذلك علاقته ببعض أولاده سيئة.

حذّرت هيئة مقدسية من أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تعمل على زراعة تاريخي يهودي مزيّف في مدينة القدس المحتلة، لا سيما في منطقة الحرم القدسي، داعيةً إلى تفنيد الادعاءات الإسرائيلية والوقوف بالمرصاد لمثل هذه الأكاذيب ونبّهت الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات من المشاريع التهويدية الجديدة في منطقة القصور الأموية، وباب المغاربة، وحي سلوان، مؤكدةً أن (إسرائيل) ماضية في تنفيذ مخططاتها التهويدية في القدس المحتلة وخاصة منطقة الحرم القدسي الشريف. وأشارت في الوقت ذاته إلى أن سلطات الاحتلال لا تعمل فقط على حفر الأنفاق والمناطق الأثرية للبحث عن آثار هيكلهم المزعوم بالقدس، بل تعمل على زراعة تاريخ يهودي في تلك المناطق لإثبات أحقيتها في الأراضي المقدسة.

وحذرت الهيئة في بيان صحفي، الأربعاء ١٥-٨-٢٠١٢، من أن سلطات الاحتلال وعلى رأسها بلدية القدس الاحتلالية وسلطة الآثار تعد مخططاً كبيراً يستهدف الحرم القدسي الشريف ابتداءً بالمسجد الأقصى المبارك لتغيير معالمه وإضفاء طابع يهودي عليه في خطوة تمهيدية لتحقيق هدفهم بتهويد الأقصى وإقامة الهيكل.

وقالت إن مثل هذه الحفريات وما يرافقها من عروض مزيفة وادعاءات باطلة أصبحت تشكل مدينة يهودية بأكملها تحاكي بها إسرائيل المخططات المتطرفة التي تملأ أدراج حكومتها ولفتت النظر إلى أن الحفريات أسفل القصور الأموية جنوبي المسجد الأقصى المبارك باتت تربط أسفل أسوار القدس خلف محراب المسجد الأقصى المبارك جنوباً.

وأكدت أن منطقتي القصور الأموية وسلوان ستبقيان جزءاً لا يتجزأ من شرقي القدس المحتلة، داعياً (إسرائيل) كقوة احتلال إلى الالتزام بالتزاماتها المنبثقة عن القانون الدولي الإنساني والتي تدعو إلى الحفاظ على المناطق الأثرية وعدم إجراء أي تغيير على معالمها.

فى كتاب القدس المدينة والتهويد للدكتور خالد عزب والذى يستعد لصدور طبعته الثانية عن دار هلا للنشر الكتاب، نتعرف على الطرق المختلفة التى يتبعها الصهاينة للقضاء على عروبة وإسلامية فلسطين.

ويرى المؤلف أن التهويد هو عملية نزع الطابع الإسلامى والمسيحى عن القدس وفرض الطابع الذى يسمى يهودياً عليها، وتهويد القدس جزء من عملية تهويد فلسطين ككل، ابتداء من تغيير اسمها إلى إرتس يسرائيل، مروراً بتزييف تاريخها، وإنتهاء بهدم القرى العربية وإقامة المستوطنات ودعوة اليهود للاستيطان فى فلسطين.

ويذكر خالد عزب أن إسرائيل بدأت عملية التهويد منذ عام ١٩٤٨ م، وزادت حدتها واتسع نطاقها منذ يونيو ١٩٦٧ م، وقد ارتكزت السياسة الإسرائيلية على محاولة تغيير طابع المدينة السكانى والمعمارى بشكل بنيوى فاستولت السلطات الإسرائيلية على معظم الأبنية الكبيرة فى المدينة واتبعت أسلوب نسف المنشآت وإزالتها لتحل محلها أخرى يهودية، كما قامت بالاستيلاء على الأراضى التى يمتلكها عرب وطردهم وتوطين صهاينة بدلاً منهم.

ويقول الكتاب: يعد التهويد الثقافى والإعلامى أحد المحاور المهمة فى مخططات تهويد القدس، ويمس هذا التهويد تراث المدينة بدرجة كبيرة، ذلك لأنه التعبير الحى عن هويتها، لذا بات التراث هاجسا يمس بصورة يومية المقولات اليهودية الدارجة حول المدينة، بل تحول مؤخرا إلى قلق دائم لدى اليهود، وهم يحاولون من آن لآخر الإجابة عن التساؤلات المطروحة أمامهم حول تاريخ القدس وتراثها ومدى يهوديتها، وللتهويد الثقافى والإعلامى صور شتى، منها التربوى، ومنها ما يمس مفاهيم ماهية القدس وحدودها، ومنها ما يتعلق بتزييف الحقائق التاريخية حول مدى قدسية القدس لدى اليهود ومنها ما يمس حقيقة الهيكل وهل له مكان ثابت مقدس يجب أن يبنى فيه .

وتعتبر التربية عاملاً حيوياً فى بث الأفكار والمعتقدات لدى الشعوب، لذا كان اليهود حريصين على بث ما يؤيد ادعاءاتهم فى القدس وفلسطين من خلال المناهج الدراسية وقصص الأطفال ومن ذلك ما يروى فى قصة ديفيد الصغير بصورة تغرس أصالة الوجود اليهودى، حيث تروى القصة ما يلى فى ذلك العام، فى أورشليم، القدس، كان ديفيد صغيراً جداً، عندما هدم الرومان وأحرقوا هيكل سليمان الرائع، بناء على أوامر الإمبراطور تيتوس، قام الرومان بالقتل والنهب، وقطع جنودهم بسيوفهم القوية رؤوس الأطفال الصغار، ولم يتركوا إلا بعض الحجارة المنضدة التى نسميها حائط المبكى وبما أن ديفيد الصغير يركض سريعاً، وهو كذلك يتمتع بالدهاء، فقد أفلت من الجلادين الرومان ابتدأ اليهود الذين خرجوا أحياء فى الانتشار فى العالم، وهذا الهرب فى كل يسمى الدياسبورا ها هم اليهود دون وطن، لكن ديفيد الصغير يقول العام القادم فى أورشليم وبعد الرومان جاء الغزاة البيزنطيون، ثم الفرس، ثم الصليبيون الذين هم فرنسيون وإنجليز وألمان، وقالوا أنهم هنا لتخليص قبر المسيح، كانوا يحملون صلباناً على صدورهم وعلى سيوفهم، كانوا رهيبين.

فقتلوا كثيراً من اليهود وليبرروا عملهم احتجوا بأنهم لم يميزوا بينهم وبين العرب،ولمدة طويلة جداً كان الاحتلال التركى، وترك الباشاوات اليهود يقبلون حائط المبكى، كما بنوا سوراً جميلاً حول أورشاليم، وما زال ديفيد الصغير دون وطن، لكنه يقول العام القادم فى أورشاليم.

وهناك بعد آخر وهو إكساب الرؤية اليهودية لمدينة القدس طابعاً علمياً، وهذا يبدو من خلال نشاط الجامعات والمؤسسات الإسرائيلية، فبالرغم من تسليم الأثريين اليهود بفشلهم فى العثور على حجر واحد من أية بناية تنسبها التوراة إلى النبى سليمان على الرغم من مرور عشرات السنوات من التنقيبات الأثرية الإسرائيلية المكثفة فى العديد من المواقع بالقدس، إلا أنه لم يعثر على شىء ذى بال يؤكد يهودية المدينة، وينسب اليهود حجر عثر عليه بالقدس نقشت عليه أسماء الشهور بالحروف العبرية القديمة المشتقة من الأبجدية الفينيقية إلى عصر النبى سليمان وحجر آخر تدل نقوشه على نسبته للنبى حزقيا فى قناة مياه خارج القدس وقد أدت نتائج الحفائر إلى جوار الحرم القدسى عن الكشف عن ثلاثة قصور أموية كانت مخصصة لإقامة الأمراء الأمويين الذين حكموا المدينة وهو مامثل خيبة أمل كبيرة لدائرة الآثار الإسرائيلية التى تخضع لها المنطقة حالياً فضلاً عن خيبة الجامعة العبرية وجمعية كشف إسرائيل التى قامت بالحفائر، وكانت الجمعية السابق ذكرها دعمت برنامج بنيامين مازار الأستاذ فى الجامعة العبرية، الذى وضع مشروعاً للكشف عن الطبقات الدنيا من الهيكل فى موضع الحرم القدسى الشريف وبالقرب منه، وهو ما أدى إلى هدم العديد من الآثار الإسلامية فى مناطق الحفر، ولم يعثر اليهود على أى أثر يعتد به يعود إلى عصر الهيكل المزعوم.

هكذا أتيحت لليهود وللباحثين عن الآثار وفقاً لما جاء فى التوراة فرصة ذهبية للبحث عن مملكة إسرائيل فى القدس من خلال التنقيبات الأثرية، ولكن نتائج حفائرهم لم تؤد إلى شيء ذى بال، ورغم هذا فهم يعطون مشروع إعادة بناء الهيكل اليهودى بعداً علمياً، فقد أصدرت الجمعية الجغرافية الإسرائيلية عدداً خاصاً من مجلتها العلمية سنة ١٩٩٦عن إعادة بناء الهيكل تضمن مقابلة مع مهندس يهودى حول عمارة الهيكل، وأبحاث عن الهيكل الأول والهيكل الثانى، وكذلك النماذج المعاصرة التى وضعت لبناء الهيكل فى موضع قبة الصخرة، ودراسة أثرية مقارنة بين تصور هيكل هيرود وماهو موجود اليوم فى الحرم القدسى وينسبه اليهود إلى عمارة هيكل هيرود مثل الأقصى القديم وهو سلسلة من عقود تمثل قبواً أسفل المسجد الأقصى فضلاً عن حائط البراق وصدور هذا العدد من مجلة علمية معترف بها فى الغرب يوحى بجدية وأصالة الإدعاءات الإسرائيلية، بل ويستخدم هذا العدد كمرجع للمقالات الصحفية والبرامج التليفزيونية . بل امتد الأمر إلى إقامة معارض أثرية تضمنت بعض مانتج عن حفريات القدس ونسب إلى اليهود بطريق لى ذراع النتائج العلمية، وتسويق هذه المعارض سياحياً يصاحبها أدلة بلغات عديدة ، وهو نوع من الدعاية الإعلامية التى تأخذ صبغة علمية.

المسجد الأقصى وأسطورة الهيكل اليهودي:

عندما نقف على حقيقة الهيكل الذي نسج اليهود المعاصرون حوله أسطورة كبيرة، ويتخذونها اليوم ذريعة، لتنفيذ مخططاتهم الخبيثة لهدم المسجد الأقصى، ندرك للوهلة الأولى أنه ليس للهيكل وجود حقيقي، بل هو أسطورة يهودية نسجتها أيدي أحبار وحاخامات اليهود، ثم نسبتها إلى نبي الله سليمان عليه السلام، والثابت تاريخيًا وكما جاء في السنة النبوية أن سليمان، عليه السلام، لم يبنِ هيكلاً كما تزعم التوراة، بل الثابت أنه بنى لله تعالى مسجدًا وهو المسجد الأقصى.

وأن قصة الهيكل كما ترويها الكتب المقدسة عند اليهود قصة خرافية، والهيكل نفسه ليس له وجود حقيقي في التاريخ ويدل على ذلك الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد أن أبا ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال: المسجد الحرام، قال: قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة وجاء في شرح الحديث في فتح الباري لابن حجر العسقلاني وتفسير ابن كثير، أن أول من أسس مسجد بيت المقدس، وهو المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام ؛ ليكون قبلة لبعض ذريته، وذكر بعض أهل العلم أن أول من بنى المسجد الأقصى هو إبراهيم عليه السلام، وأن داود عليه السلام أراد تجديد ذلك البناء، لكنه لم يكمله فأكمله ابنه سليمان عليه السلام وأتمه وبناه بناء عظيماً وفي ذلك يقول العلامة عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته أراد داود عليه السلام بناء مسجده علي الصخرة فلم يتم له ذلك وعهد به إلى ابنه سليمان فبناه لأربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة موسي عليه السلام واتخذ عمده من الصفر وجعل به صرح الزجاج (الصرح الممرد من قوارير) وطلى أبوابه وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله ومنارته ومفتاحه من الذهب وجعل في ظهره قبراً ليضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح وجاء به من صهيون بلد أبيه داود تحمله الاسباذ والكهونيه حتى وضعه في القبر ووضعت القبة والأوعية والمذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد ولم تستمر الدولة العبرية التي أقامها داود وسليمان في القدس طويلا، فقد انقسمت في عهد أبناء سليمان إلى مملكتين هما إسرائيل ويهود، التي اتخذت من القدس عاصمة لها، وتعرضت المملكتين للتدمير الشامل علي يد الآشوريين في القرن الثامن قبل الميلاد، وأسروا سكانها اليهود فيما عرف باسم السبي الأول ثم علي يد البابليين بقيادة بختنصر عام ٥٨٧ ق.م، الذي حطم مدينة القدس وأخرج اليهود منها وأخذهم إلى بابل كأسري وهو ما يعرف بالسبي الثاني.

تغلل اليهود في التراث العربي الإسلامي:

المستشرقون اليهود شديدى الحساسية لموضوع فضائل بيت المقدس حيث يقومون بدراستها وتحليلها ومقارنتها بفضائل مكة والمدينة وقد قام العديد منهم بدراسة وتحقيق بعض مخطوطات فضائل بيت المقدس ونفثوا كثيرًا من أفكارهم وسمومهم في مقدّمتها، وفي ثنايا سطورها وهوامشها، وكتب الكثير منهم أبحاث ودراسات تعزّز وجهة نظرهم، وقد قام البعض منهم بالسطو والاستيلاء على بعض المخطوطات الموقوفة منذ مئات السنين في مكتبات المساجد الفلسطينية ويقصّ علينا الأستاذ الباحث عصام الشنطي مأساة مخطوطة فلسطينية فريدة ونفيسة، كانت موجودة في مكتبة جامع أحمد باشا الجزار، في مدينة عكا على شاطئ فلسطين، وهي الآن أسيرة حبيسة في الجامعة العبرية، وعلى الرغم من أنّ هذه المخطوطة قد صدرت مطبوعة محقّقة عن الجامعة المذكورة بالقدس على يد إسحاق حسون إلا أنّ أوّل من نبّه لهذه المخطوطة في وقتٍ مبكر هو عبد الله مخلص عضو المجمع العلمي العربي في دمشق في مقالته التي نشرت عام ١٩٣٠ في مجلة المجمّع العلمي العربي، وقد أشار إلى قيمتها وإلى مؤلفها أبي بكر محمد بن أحمد الواسطي، وأنها محفوظة في مكتبة جامع أحمد باشا الجزار في مدينة عكا، وهي نسخة وحيدة ليس لها ثاني في خزائن المخطوطات العربية في العالم، ويتحدّث الأستاذ الشنطي عن هذه المخطوطة في مقالة كبيرة له في مجلة معهد المخطوطات العربية بعنوان: فضائل البيت المقدس لأبي بكر الواسطي فينبغي مراجعتها.

وهكذا بعد أنْ حاولنا إبراز نتائج دراسات المستشرقين اليهود بصدد فضائل بيت المقدس تتّضح لنا الصورة كيف يحاول المستشرقون اليهود بشتى وسائل المعرفة والبحث النيل من مكانة هذه المدينة، لكن هل أثمرت جهودهم؟ .

الباب السادس
القدس من أحق بها نحن أم هم ؟

هل لليهود حق تاريخي في القدس؟

لابد لنا أن نثبت أحقية صاحب الحق فى القدي ؛ فقد صَدّع أدمغتنا اليهود، وأكثروا من كلامهم أنهم أصحاب الأرض، وأنهم أول من عَمَّروها، وأنهم أصحاب حضارتها، وأنها أرض آبائهم وأجدادهم فبداية ماذا نعني باليهود هنا؟ هل المقصود يهود بني إسرائيل أحفاد يعقوب (إسرائيل)؟ أم يهود زماننا هذا؟ وهل هناك فرق بينهم؟ إنها أسئلة تطرح نفسها ولا بد من الإجابة عليها وإن كنا نقصد بسؤالنا هذا يهود بني إسرائيل، الذين سكنوا القدس وفلسطين قديماً، فيمكننا أن نبحث ونناقش هذا السؤال المشروع، أما إن كنا نقصد بهذا السؤال يهود زماننا الذين يحتلون فلسطين، فعندها نتردد في إكمال البحث في هذه المسألة والرد عليها! فهناك فرق بين يهود القرون القديمة، وبين يهود اليوم!.

بكل بساطة إذا نظرنا إلى يهود اليوم فسنجد فرقاً كبيراً بينهم وبين بني إسرائيل الذين استوطنوا القدس قديماً، ويدّعون أنها أرض أجدادهم، ويريدون إرثهم؛ فسنجد أنهم ليسوا من نسلهم ولا أحفادهم إلا القليل جداً منهم، فمن يحتفظ اليوم من اليهود بسمات وخصائص بني إسرائيل من عصر التوراة قلة ضئيلة، فيصعب ومن النادر أن تجد في زماننا من أصوله يهودية متصلة إلى بني إسرائيل، فإن كثيراً من اليهود المعروفين وجد في أنسابهم دماء مسيحية وآخرون وثنية ففي دراسة للأنثربولوجي البريطاني الشهير جيمس فنتون على يهود إسرائيل توصَّل إلى أن ٩٥% من اليهود ليسوا من بني إسرائيل التوراة، وإنما هم أجانب متحولون أو مختلطون، وقد أثبت ذلك أيضاً الأنثربولوجي المخضرم فيلكس فون لوشان أن من يهودنا المحدثين نحو ٥٠% عراض الرؤوس، ١١% ذوو بشرة بيضاء، ومالا يزيد عن ٥% يتفقون مع ما عرفنا من النمط السامي القديم.[١]

- ومما يثبت ذلك أيضاً أن اليهود بعد خروجهم الأخير وطردهم على يد الرومان خرجوا نحو ٤٠ ألف يهوديًّا، ثم ذكروا أنهم أصبحوا ما بين ٤-٧ مليون يهودي في أقل من ٥٠٠ سنة من طردهم، أي أنهم ضاعفوا عددهم مابين ١٠٠-١٨٠ مرة، وهذا معدل فلكي لا يمكن أن يكون تم بتزايد طبيعي، بل كان سببه دخول قبائل وشعوب ليست من نسل يعقوب وذريته في اليهودية، وتم ذلك إما عن طريق التبشير أو الزواج ممن ليسوا على دينهم فينسب بعد ذلك الولد لأبيه اليهودي إن كانت أمه غير يهودية أو ينسب لأمه اليهودية إن كان أبوه ليس بيهودي، وقد يتم ذلك أحياناً عن طريق إغواء الفقراء وأصحاب النفوس الضعيفة بالمال من أجل تغيير معتقداتهم، وقد ثبت حدوث أمثلة لهذا التحول تاريخياً؛ مثل: اليهود الخَزَر، واليهود الفلاشا، واليهود السود من التاميل، وغيرهم ممن ليس لهم أصول يهودية فلا يصح أن يطالب أقوام بإرث آباء ليسوا آباءهم، بل هم يهود الشتات وحثالة العالم؛ فقد شتتهم الغزو الفرعوني، ثم الآشوري، ثم الآرمي والبابلي، ثم الإغريقي، ثم البطالسة، ثم الفينيقيون، ثم اليونانيون، ثم الرومان، ومع هذا لو سلَّمنا جدلاً أن اليهود في زماننا هذا هم من نسل يعقوب وأنهم نسل بني إسرائيل القُدامى أصحاب التوراة، أو أن هذه النقطة السابقة لا تنفي حقهم التاريخي في الأرض، فهل معنى هذا أن لهم حق تاريخي في القدس، وأنهم هم السكان الأصليون لهذه البلاد.؟!

نقول لهم: إن التاريخ يفضح كذبكم وزعمكم هذا، فلا شك أن القدس تاريخها قديم جداً، حالها كحال البيت العتيق بمكة، فقد وجدت بعض الاكتشافات في جبل القفرة جنوبي الناصرة، وسفح الرمل قرب طبريا، يعود تاريخها لما بين عامي (٧٥٠٠-٣١٠٠ ق.م)، ومن أهم أحداثها أيضاً تأسيس مدينة أريحا التي يعتبرها المؤرخون أقدم بلدة في العالم .

ومع هذا فإننا لا نملك تاريخاً موثقاً مدوناً عن هذه الحقبة التاريخية، وأقدم ما دُوِّن من تاريخ بحق بيت المقدس كان قبل الميلاد بـ ٣٥٠٠ سنة، وهو تاريخ اليبوسيون وهم بطن من بطون العرب الكنعانيين الذين هاجروا إلى فلسطين، ومن أقدم ملوك اليبوسيين في القدس كان ملكي صادق وهو الذي عقد صداقة مع إبراهيم الخليل عليه السلام الذي هاجر إلى فلسطين واستوطن بها، وملكي صادق كان من الموحدين.

- كما غزتها القبائل الكريتية من جزيرة كريت وهم الذين ينسب لهم كلمة فلسطين أي المهاجر أو الغرباء حوالي ١١٤٨ق.م وقد اندمجوا مع الكنعانيين حتى أصبحت ثقافتهم واحدة بعد مدة استطاع بنو إسرائيل هزيمة اليبوسيين، ثم أسسوا مملكة إسرائيل بقيادة داود عليه السلام، واتخذوا من القدس عاصمة لها ١٠١٣-٩٧٣ ق.م.

- ومما سبق يتضح لنا أن العرب الكنعانيين هم أول من سكن القدس وفلسطين قبل خلق بني إسرائيل وولادتهم ووجودهم في الدنيا، فقد ذكرنا أن إبراهيم هاجر لفلسطين وكانت بينه وبين ملكها صداقة، وبنو إسرائيل هم أحفاد يعقوب، ويعقوب حفيد إبراهيم، فبأي عقل وبأي منطق يزعمون أنهم أصحاب الأرض؟ كما أن القبائل الكريتية التي ينسب لها الفلسطينيون الآن قد وصلت إلى هناك قبل يهود بني إسرائيل، فالحق التاريخي الأصيل يعود لليبوسيين الكنعانيين العرب وقد يدعي اليهود أحياناً أنهم هم أول من أسسوا مجداً وحضارة وعظمة القدس وفلسطين، وأنهم عَمَّروها، لكن التاريخ لا يرحم الكاذبين، فقد كان الكنعانيون أول من أسسوا وشيدوا حضارة القدس وفلسطين والحفريات خير شاهد على ذلك، وقد أنشأ الكنعانيون مدناً كثيرة منها أسدود وعكا وغزة، وبنوا مدينة القدس، واهتموا بها، بل نقول لليهود: أنتم لصوص الحضارة يقول سليم حسن في موسوعة مصر القديمة: وقد بقي العبرانيون هناك مدة طويلة، وأخذوا ثقافتهم عن الكنعانيين بقي أن نتحدث عن هيكلهم المزعوم:

حدث أن زحف بختنصر البابلي إلى القدس ودمَّرها ودمَّر هيكلها وجعله أنقاضاً وسبى اليهود وطردهم من القدس، وهذا يسمى السبي الأول الذي طُردوا فيه من القدس ثم بعد ما يقرب من ٧٠ عاماً من طردهم تمكن اليهود من العودة إلى القدس بعد معاونتهم ملك الفرس كورش في الحرب معه والاستيلاء على بابل سنة ٥٣٩ ق.م؛ فكافأهم بالعودة للقدس، فعادوا وسعوا في إعادة بناء الهيكل مرة أخرى، وأعادوا بناءه مرة أخرى لكن ليس بجماله السابق ثم تتابعت الحروب وعمليات الاحتلال للقدس؛ فمرة اليونانيين على يد الإسكندر، ومرة أخرى ملك سوريا، حتى خضعت القدس لحكم الرومان سنة ٦٦ ق.م، وأكثر اليهود من افتعال وإحداث المشاكل مع الرومان، مما جعل الإمبراطور الروماني يأمر بالقضاء عليهم وسبيهم وطردهم من القدس وفلسطين، فتم ذلك بالفعل وتم تدمير الهيكل وقتل الكثير من اليهود وسبيهم وطردهم منها عام ٧٠ م ولم يعودوا لها مرة أخرى حتى عام ١٩٤٨م.

.بعض أدلة أحقية المسلمين ببيت المقدس:

في إطار رفضها لقرارات الأمم المتحدة لاسيما ما يتعلق منها بالعودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧، تواصل إسرائيل غطرستها وتعلن تأبيها عن تنفيذ توصيات وقرارات مؤتمر شرم الشيخ التي اتفق عليها مؤخراً، فهي مع ما عرف عنها من مماطلة في تنفيذ ما اتفق عليه ما تلبث أن تتنازل عن قطعة من الأرض حتى تستعيض عنها بأخرى، وما تلبث أن تفكك بعضاً من مستوطناتها غير المشروعة حتى تشرع بطريقة غير مشروعة في بناء غيرها، وهي في كل ذلك لا تكف عن تدمير منازل إخوة العروبة والإسلام في فلسطين وتجريفها، كما أنها لا تتورع عن قتل مدنييهم العزل بل وحتى النساء منهم والأطفال ويأتي في إطار اعتداءات إسرائيل هذه على الحرث والنسل ومخالفاتها للقرارات الدولية، ما صدر مؤخراً من اعتزامها على استبقاء أرض الجولان السورية ومواصلة احتلال القدس الشريف

وعدم إرجاع هذه المناطق لأصحابها، بل وما اتخذته من قرارات بشأن بناء ٣٥٠٠منزلاً في القدس الشرقية والضفة الغربية، ناهيك عن تهيئتها المناخ وعدم تصديها لأكثر من عشرة آلاف متطرف يهودي أعلنوا عن نيتهم اقتحام المسجد الأقصى الشريف في العاشر من أبريل من عام ٢٠٠٥ ، وذلك تمهيداً لتدمير أولى قبلتي المسلمين وثالث الحرمين الشريفين وتشييد ما يسمونه بهيكل سليمان مكانه وإذا كان يهود عصرنا لا يكفون عن دعوى أحقيتهم في أرض الميعاد بل وفى قبلة المسلمين الأولى (المسجد الأقصى) فيعملون جاهدين وجادين لإثبات هذا الحق المزعوم والوعد المكذوب- على نقضه وطمس معالمه حتى أصبح هدمه لا قدر الله مسألة وقت حسبما ذكرت صحيفة هاآرتس الإسرائلية في ١٢/ ٨/ ١٩٦٩، فإن الثابت شرعاً وتاريخاً:

١- أن سليمان الذي يريدون أن يرفعوا على أنقاض المسجد الأقصى هيكلاً له خالوه، عمل على تجديد هذا المسجد العتيق المبارك الذي بني بعد المسجد الحرام بأربعين عاماً ، وذلك بعد أن اندرست معالمه عبر القرون المتطاولة، فكيف بمن يجدد مسجداً هو ثاني مسجد بنى على وجه الأرض، وله من المكانة ما له، أن يبنى مكانه أو أسفله أو حتى بجواره هيكلا تتنافى رسالته مع رسالة المسجد تنافيا يصل إلى حد أن يبنى أحدهما على أنقاض الآخر كما تزعم اليهود؟ .

٢- الملاحظ في حديث المؤرخين القدامى أمثال ابن الأثير ت٦٣٠هـ في كتاب الكامل وابن كثير ت ٧٤٧هـ في كتابه البداية والنهاية وغيرهما ، أنهم لم يعرضوا سوى لبناء المسجد وإتمامه علي يد داود وسليمان عليهما السلام ولم يتطرقوا للحديث عن الهيكل ، بل إن الذين كتبوا في هذا الموضوع من الباحثين التوراتيين والإفرنج ومن ساندهم من حراس الفكر الآسن العربي في جامعاتنا ومراكز أبحاثنا ممن أشاروا إلي وجوده لم يقدموا دليلاً أو مصدراً واحداً يكشف عن حقيقة هذه المفردة

كما خالها معشر يهود سوى التوراة، إذ لم تسهم المخلفات الأثرية في إثبات ذلك كما لا توجد مصادر تاريخية تدعم سجل التوراة، وممن قرروا تلك الحقيقة من علماء الآثار في الجامعة العبرية وغيرها أمنون بن ثور و طومسون وروني ريك وميللر وجاريبيى وليتش وفلاناجن وغيرهم، ومن ثم وضح الإجماع في السنوات الأخيرة علي أن فكرة مملكة سليمان وهيكله المزعوم في فلسطين تتداعي تدريجياً، وقد أسهم هذا الغياب للأدلة والآثار بقوة في إسقاط ماضي هذا الهيكل المتخيل، وإن كانت فكرته لا تزال تهيمن علي خطاب دراسات التوراة على الرغم من أن التوراة باعتبارها نصاً مقدساً ليست مرجعاً ولا تعكس بالضرورة الحقائق التاريخية، والأمر فيها علي ما يبدو لا يعدو أن يكون محاولة ممن صاغوا التوراة في القرن الثاني ق م لإثبات تواجد لليهود بأي شكل في أرض الميعاد .

٣- وتدعيماً لما سبق تقريره من عدم وجود أي أثر يدل على وجود الهيكل نقول إنه ومنذ أن وطئت أقدام الاستعمار الأوروبي الأرض العربية في القرن التاسع عشر، والمستشرقون وعلماءالآثار ما انفكوا يتوافدون على القدس باعتبارها مهد المسيح ومكان دعوته وأيضاً بوصفها أرض التوراة، وقد استغلت الحركة الصهيونية هذا الأمر في خططها للترويج لدعوى عودة اليهود إلي الأرض المقدسة، مستفيدة من أطماع القوى الأوربية الاستعمارية في الشرق وكونت من أجل العثور على أي أثر يثبت حقها للعودة، جمعيات ومؤسسات ومدارس بحث كان من أهمها صندوق استكشاف فلسطين وهو هيئة بريطانية أنشئت عام ١٨٦٥م، وجمعية الاستكشاف الفلسطينية وهي جمعية يهودية أمريكية تأسست عام ١٨٧٠م، وجمعية الآثار التوراتية وهي جمعية بريطانية أنشئت عام ١٨٧٠م، والجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية أنشئت عام ١٨٧٧م، والمدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية أنشأت عام ١٨٩٢م، والجمعية الألمانية للدراسات الشرقية أنشأت عام ١٨٧٩م

والمدرسة الألمانية للأبحاث الشرقية للقدس تأسست عام ١٩٠٠م وهي تعرف الآن باسم مدرسة أولبرايت نسبة لاسم عالم التوراة وليام فولبرايت يهودي الأصل، والمعهد البروتستانتي الألماني للدراسات التاريخية في الأرض المقدسة أنشئ عام ١٩٠٢م، وقد باءت كل مساعي هذه الجمعيات بالفشل الذريع في إيجاد دليل أثري واحد يثبت وجود بقية للهيكل أسفل الحرم القدس الشريف أو المسجد الأقصى .

وخارجاً عن نطاق العمل المنظم والكثيف لهذه الجمعيات ووريثاتها من المؤسسات الإسرائيلية فقد عملت في مدينة القدس تحديداً، للبحث عن بقايا هيكل سليمان، عدة بعثات أثرية معنية بالحفائر، انطلقت جميعها من فرض صحة ما جاء في التوراة من معلومات تاريخية وحضارية كان أهمها: حفائر باركلي المنصر الأمريكي وكانت عام ١٨٣٩م، حفائر شارل فروارن الضابط الإنجليزي وكانت عام ١٨٦٧م، حفائر بلبيس وهي فيما بين عامي ١٨٩٣و١٨٩٦م، حفائر الكابتن واركر ضابط إنجليزي وكانت عام ١٩١١م بناء على طلب وتمويل المليونير اليهودي روتشيلد، حفائر ماكاليستر الإنجليزي ١٩٢٣- ١٩٢٦م، حفائر كروفوت عام ١٩٢٧، حفائر المدرسة الإنجليزية للآثار عام ١٩٦١م، حفائر مصلحة الآثار الإسرائيلية عام ١٩٦٧م تحت إشراف دهنس، الحفائر المشتركة بين الجامعة العبرية وجمعية الكشف الإسرائيلي منذ ١٩٦٨م.

٤- ومما يدعم ما سبق تقريره من عدم وجود أي أثر للهيكل المتخيل ما أعلنه العالم الأثري الإسرائيلي زئيف هرتسوغ حديثاً، وذلك في تقريره المثير للجدل الموسوم بالتوراة: لا إثبات على الأرض ذكر أنه بعد سبعين عاماً من الحفريات المكثفة في فلسطين، توصل علماء الآثار إلى نتيجة مخيفة: لم يكن هناك أي شيء على الإطلاق، ولم تحتل فلسطين، ولا ذكر لامبراطورية داود وسليمان.

ويأتي تقريره هذا بالطبع بعد أن استفرغ الدارسون التوراتيون والآثاريون ومنهم إفرنج ومنتسبون إلى دائرة الآثار الإسرائيلية الرسمية كل ما في وسعهم، وبعد أن بحثوا في كل مكان ورد اسمه في التوراة التي جعلوها في يد والمجرف في اليد الأخرى، وكانت المفاجئة أن ما وجد يؤكد بطلان ما جاءت به التوراة ويوجب قراءة التاريخ العربي عامة والفلسطيني خاصة قراءة جديدة وموضوعية .

٥- كما يدعمه شهادة الدكتورة كاتلين كابينوس مديرة الحفائر في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس التي قررت سنة ١٩٦٨م ضمن فريق من علماء الآثار المسيحيين عدم وجود أي أثر لهيكل سليمان، وشهادة فريق المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى في وقت لاحق، وتعمقوا فيها، وخلصوا إلى أنه لا يوجد في ذلك المكان أي دليل أو شبهة لأي أثر من الهيكل الذي تدعي الصهيونية أنه مدفون بجوار حائط البراق الغربي بالمسجد الأقصى .

٦- وكما عجزت تقارير وشهادات الصهاينة ومن والاهم عن إيجاد أي أثر للهيكل وعن إثبات أي دليل تاريخي يؤكد وجوده، فقد عجزت كذلك عن إثبات أي أثر أو دليل يقطع بأن حائط البراق الذي يسمونه حائط المبكى، جزء من سور كان حول هيكل سليمان، بل إن اللجنة الدولية المتفرعة عن عصبة الأمم المتحدة التي تكونت سنة ١٩٢٩برئاسة وولترشو للنظر في الخلاف حول ملكية المبكى ومكثت شهراً كاملاً في فلسطين من ٦/١٩: ١٩٣٠/٧/١٩ واستمعت لأحد عشر محامياً من مسلمين ومسيحيين من مختلف دول العالم كما استمعت لأقوال ٢٢ شاهداً قدمهم الجانب اليهودي، أثبتت من خلال وثيقة فندت فيها إيماءات الإسرائيليين لحقهم التاريخي في القدس، بأن الحائط وقف للمسلمين العرب ولا يجوز لأحد أن ينازعهم فيه.

ومن ثم لم تقر هذه اللجنة وجهة النظر الصهيونية وما تخطط له من إخراج ١٠ آلاف مسلم من القدس القديمة بأي شكل وبمختلف الأساليب وإحلال ٥٠٠٠ يهودي مكانهم، ومن إزالة الأبنية التاريخية والآثار الإسلامية الملاصقة لسور المسجد الأقصى من الجهة الغربية وتوسيع حائط المبكى، ومن فتح أنفاق تحت المسجد، وحكمت لجنة وولترشو الدولية بعد دراسة وافية لكافة الوثائق، بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال أي تغيير فيه وبنحو ذلك فعلت منظمة اليونسكو التي أدانت بقراريها ٨٢، ٨٣ في ١٩٧٠ إسرائيل إحراق المسجد الأقصى واستمرارها في الحفريات كما دعتها للالتزام فوراً بالقرار١٧م/٣٤٢٢الصادر في نوفمبر ١٩٧٢ القاضي بالكف عن تغيير معالم القدس، الأمر الذي يؤكد من جديد عدم وجود أية أدلة مادية تشير من قريب أو من بعيد إلى الهيكل المزعوم وبالتالي كذب الادعاء اليهودي بالحق التاريخي لهم في أرض فلسطين.

٧- كما يؤكده موقع المسجد الأقصى نفسه، لأن من أبرز المعالم التي تميز الحرم الإسلامي الشريف أنه مستطيل ويأخذ الاتجاه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه مكة المكرمة على خلاف الهيكل قبل إبادته وتدميره ومحوه ـ إن صح ما ورد في هذا الصدد ـ فإنه ـ كما أفادت دراسة الأثرى الفرنسي دي سولس في كتابة تاريخ الفن اليهودي- كان يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق، وهذا في حد ذاته ينفي نفياً قاطعاً الرأي القائل بأن الهيكل يقوم مكان الحرم الإسلامي الشريف ، إن افترضنا جدلاً وجود هيكل في الأصل .

٨- ثم إن القول بثبوت أحقية اليهود في بلاد المسلمين المقدسة بحجة الهيكل وبمجرد انتسابه لنبي الله سليمان الذي يعدونه نبياً من أنبيائهم، قول خاطئ ومجاف للحقيقة، ذلك أن سليمان وجميع آبائه وأجداده من النبيين ما كانوا قط في يوم من الأيام يهوداً أو نصارى أو عابدين لعجل أو وثن

والعقل والنقل يقضيان بهذا، فجميعهم كانوا على ملة أبيهم إبراهيم حنيفاً مسلماً، والشرك أبغض ما يكون إلى قلوبهم، وهم ما بعثوا إلا لترسيخ عقيدة التوحيد التي هي في الأساس ملة إبراهيم ووصيته إليهم، واليهودية والنصرانية ما ظهرت وما وجدت إلا فيما بعد، فأنى له أن يكون هو أو أحد من أبنائه كذلك (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده)؟، وعليه فعندما يقرر القرآن حقيقة (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)، يكون قد وافق العقل في تقرير ما كان عليه أبو الأنبياء وما كان عليه أبناؤه بالطبع من التوحيد الخالص، وما عند القوم من دليل يثبت أنهم أو أن واحداً منهم سواء سليمان أو غيره كانوا على غير ذلك، ومن هنا وجه رب العزة خطابه مستنكراً وقائلاً:(أم تقولون ان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون)، وإذا كان الجواب عن هذه التساؤلات بالنفي فـ (إن أولى الناس بإبراهيم، للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا)، ذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأتباعه هم الذين اتبعوا الملة الإسلامية التي هي وصية إبراهيم أبي الأنبياء كما أنها وصية نبي الله إسرائيل نفسه اللتين جاء ذكرهما في قوله تعالى: (ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)، فاتبعها محمد واتباعه وخالفها ولا يزال أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهكذا كان الحال في أمر اتّباعها من دونهم بالنسبة لسليمان عليه السلام، وماذا بعد أن صار الخلق والطير المسخر له دعاة لدينه الإسلام، فلقد جاءه الهدهد- بعد أن استعرض عليه السلام ملكه ولم يجده - جاءه مستنكرا لما تفعله ملكة سبأ قائلا: (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم).

وبعد محاورة ومداورة بينها وبين سليمان (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ولقد جاء أمر الله واستنكاره لأولئك الزاعمين أنهم على درب هذه الصفوة من الخلق المتمحكين فيهم على الرغم من براءة هذه الصفوة منهم، وذلك في قوله سبحانه: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)، ولكن (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين) ونخلص من هذا إلى أمرين مهمين الأول: أن الديانات لا تقوم على الأعراق أو النزعات، وأن الإسلام ما كان قط للعرب وحدهم وإلا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب والأمر الثاني: أن المسلمين من سلالة إسماعيل هم الوارثون الشرعيون لتراث الأنبياء لأنهم الذين آمنوا برسالاتهم الحقة بعد أن كفر بها غيرهم وهم الذين ورثوا بيت المقدس وسائر مقدسات إبراهيم وموسي وسليمان بعد أن تسبب غيرهم في خرابها، وهم الذين حافظوا ـ على مدار الأحقاب والأزمان- على تلك المقدسات واعتبروها جزءاً لا يتجزأ من تراثهم الديني والروحي بعد أن شوه غيرهم معالمها بالحفائر والجرافات، ألا يدل كل هذا ـ بعد أن عرفنا أن القدس بأنبيائها ورسلها تنتمي إلى الإسلام قلباً وقالباً من قديم الحقب ـ على أحقية المسلمين في هذه المدينة المباركة، سيما وأنه لا يوجد أي معلم أثرى لليهود في أرجائها؟ وألا يدل ذلك أيضاً وفي ظل ما يحدث للمسلمين هناك وفي بلادهم من انتهاكات لهم ولمقدساتهم على أنهم أولى الناس بالحفاظ على الممتلكات والأرواح والمقدسات؟ .

٩- وإذا كان الخليل إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع قواعد البيت الحرام بصحبة ابنه من هاجر إسماعيل عليه السلام، وكانت المدة الزمنية بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى على نحو ما ورد في الصحيح أربعين عاماً فمن المعقول ـ سعيًا وراء تحقيق موعود الله لأبى الأنبياء عليه السلام أن يكون إسحاق عليه السلام ابنه من سارة، هو الذي أسس بإيعاز من أبيه أو بأمر من الله المسجد الأقصى في الأرض التي بارك سبحانه فيها وحولها، وعليه فليس لداود وسليمان من عمل سوى رفع قواعده وتجديده وإذا كان هذا المسجد هو عينه الذي أسرى برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إليه وقد رآه بالطبع على الحال الذي كان عليه، وإلا لما أطلق عليه القرآن مسجداً، ولما تسنى للرسول أن يصفه للمشركين عندما جادلوه في أمره صبيحة أسرى به إليه فإن هذا يعني أن المسجد الأقصى خلال هذه المدة الطويلة التي استمرت من عهد إسحاق الذي كانت ولادته في القرن العشرين قبل الميلاد إلى مبعث النبي محمد سنة٦١٠ على الأرجح، وإسرائه صلى الله عليه وسلم إليه بعيد ذلك، مروراً بعهد داود ثم سليمان الذي توفي سنة ٩٣٠ق م وفى حكم البابليين والفرس واليونان والبطالمة والرومان لم تطله يد التخريب والإبادة، الأمر الذي يشكك في وجود هيكل أصلاً بل وفى صدق ما جاء في التوراة بشأنه، إذ كيف يمكن أن يكون هناك هيكل قد دمر على نحو ما ورد في الكتاب المقدس – سفر الملوك الثاني ٢٤: ١٣، ٢٥وما بعدهما، وإرميا ٥٢: ٣٠- وهو في مكان المسجد الذي ظل طوال هذه المدة وسيظل شاهداً على كذب وادعاءات اليهود في زعمهم أن الهيكل المزمع بنائه الآن من جديد، يقع أسفله أو بجواره، أو حتى في محيطه؟، إن الجواب المتعقل يقضي بأن لو كان الأمر على نحو ما يدعون لتم تخريب الأقصى هو الآخر لوقوعه في زمام البلاد التي طالها التدمير سيما وقد قيل إن آخر تدمير لحق المدينة كان بعد ميلاد المسيح بـ ١٣٨ عاماً أي قبل تشريف النبي صلى اله عليه وسلم له وللبقعة المباركة من حوله بزمن ليس بالبعيد .

١٠- وحين هاجر صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة عقد بعد الهجرة مباشرة عقداً مع يهودها أقرهم فيه على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم، فلو كان هناك هيكل بحق كما يزعم يهود عصرنا لما خفي ذلك عن أسلافهم ممن عاصروا رسول الله وساكنوه، بل ولطالبوه صلى لله عليه وسلم به ولأثبتوا أحقيتهم له أو لنصوا على الأقل على ملكيتهم إياه إن لم يتظاهروا بشأنه ويحتجوا على ذهابه إليه، سيما وقد عرفوا من إسرائه إليه ومعراجه منه للسماء، منازعته إياهم فيه .

١١- ثم إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يكره التشبه باليهود والنصارى حتى قال قائلهم: إن محمداً لم يدع لنا شيئاً نحن عليه إلا وخالفنا فيه، فهل يعقل أن يحط رحل النبي عليه السلام ليلة الإسراء في موضع كان في يوم ما معبداً أو مكاناً معظماً لدى يهود؟ وهل يُظن بالنبي أن يقع فيما تورع أحد أصحابه وهو عمر أن يقع فيه؟ وهل يتصور وجود هيكل تتنافى رسالته مع رسالة المسجد الذي بني عليه في مكان اعترف اليهود قبل وبعد تحويل قبلة المسلمين إلى الكعبة بأنه قبلتهم في صلاتهم مع علمهم واعترافهم كذلك بأنه صلى الله عليه وسلم وصحابته ما كانوا يتجهون في صلاتهم أيضاً إلا إلى المسجد الأقصى؟ .

١٢- عند فتح المسلمين لبيت المقدس سنة٦٣٦ من الهجرة وإعطاء عمر وثيقة الأمان لأهلها تضمنت الوثيقة: ألا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، فلو كان هناك هيكلاً كما يزعم يهود الشتات لنص عمر عليه في هذه العهدة الشهيرة ولأمّنَه باعتباره مكاناً مقدساً، إذ هو عينه الذي أمن النصارى على كنائسهم وصلبانهم، وهو عينه الذي رفض أن يصلي في كنيسة القدس عندما دعاه مطرانها لذلك، خوفاً من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة ليستولوا عليها ويحولونها بعدئذ إلى مسجد، بحجة أن عمر صلى فيها .

١٣- وعلى افتراض جدلا أن ثمة هيكلاً بُنى ودمر مرتين كما يقال، فما الذي يمنع أن يكون محوه من الوجود قد تم عقوبة من الرب لبني إسرائيل على جرائمهم وتخليهم عن تعاليمه ووصاياه كما نُص على ذلك في كتبهم، فيكون الواجب عليهم مراجعة حساباتهم مع الله لا المزيد من جلب سخطه وغضبه، وفي فعل ما هو على العكس مما ينبغي عليهم فعله مما ذكرنا؟، جاء في سفر الملوك الأول٩: ١-١٠أنه لما أكمل سليمان بناء بيت الرب وكل مرغوب سليمان الذي سُرّ أن يعمل تراءى الملك لسليمان ثانية وقال له الرب: قد سمعت صلاتك وتضرعك قدست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد، وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبنائكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي فرائضي التي جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب ويَصفُر ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر، ولا يختلف في إغاظة بني إسرائيل للرب ولا عبادتهم للعجل ولا انتهاكهم ومن شايعهم إلى يوم الناس هذا لسائر حرمات الله اثنان، وعليه فلا عجب أن يحل عليهم غضب الله وأن ينزل بهم وعيده وأن يصبح هيكلهم في المرتين اللتين ورد ذكرهما في سفر الأخبار وسفر عزرا على ما سيأتي، أثراً بعد عين فقد جاء في سفر أخبار الأيام الثاني٣٦: ١٤-٢٠ أن تدميره في المرة الأولى تم على يد ملك الكلدانيين بختنصر الذي أمر جنده فأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً

وذلك بعد أن أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم وكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه وبعد عودة عزرا ونحميا إلى أورشليم في أيام قورش ملك فارس، وخضوع فلسطين للدولة الفارسية وكان ذلك عام ٥٣٦ق م، ثم إعادة بناء الهيكل وتدوين التوراة على نحو ما جاء في سفر عزرا، ١: ١-٤ ولما حادوا عن الحق دمره سبحانه عليهم للمرة الثانية وأباده من الوجود هذه المرة إلى الأبد، وذلك حين بطش بهم القائد الروماني تيتوس سنة ٧٠ من الميلاد .

وعليه فما يسعى إليه بنو إسرائيل الآن من عربدة ومن إهلاك للبلاد والعباد في محاولة منهم لإعادة الهيكل يعد تمادياً فى مخالفة أوامر الرب من ناحية، كما يعد اعتراضاً على حكم الله وعدم رضاء لما قضي فيه بأمر سيما بعد تحول موعود الله عنهم من ناحية ثانية، كما يُعد تمرداً ومخالفة لما تنبأ به عيسى عليه السلام آخر أنبياء الله ورسله إليهم من ناحية ثالثة ومن النبوءات التي أشير فيها صراحة بتدمير الهيكل وإبادته ومحوه من الوجود بحيث لا تقوم بعده قائمة وجاء ذكرها على لسان عيسى عليه السلام الذي تآمروا على قتله وقتل غيره من الأنبياء، ما ورد في إنجيل متى٢٣: ٣٧ -٣٩ يا أورشليم يا أورشليم يريد سكانها من اليهود يا قتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب وما ورد في إنجيل لوقا ٢١: ٢٠-٢٢ من قوله عليه السلام لبعض تلاميذه فيما سيؤول إليه أمر أورشليم والهيكل: متى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب .

ولا يخفى ما في هذين النصين وغيرهما على ما سيأتي من تلميح إلى قرب نهاية بنى إسرائيل ومبعث النبي الأمين صلى الله عليه وسلم الذي سيؤول إليه أمر موعود الله سبحانه في الملك والنبوة، ومن تلك النبوءات أيضاً ما جاء من مخاطبة عيسى لأورشليم في إنجيل لوقا ١٩: ٤٣-٤٦ قائلاً: ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويُحدّقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص، ثم راح يضرب المثل لأولئك المخاطبين من الكهنة والكتبة ووجوه الشعب الذين تآمروا على قتله، ويذكرهم بأمر الكرّامين الذين رفضوا الحجر الذي صار فيما بعد رأس الزاوية، في إشارة وبشارة واضحتين بخاتم النبيين وآخر المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الأمر الذي يعني أن يسوع وحوارييه كانوا يعلمون ما سيحدث لمعشر يهود، كما يعني كذلك الإيذان بأنه لا عودة لأولئك الأنكاد لضياع كيانهم إلى الأبد بعد أن منحهم الله الفرصة ،لكن دون جدوى،على أن ما جاء في الكتاب المقدس هو على نحو ما ذكرنا قبل أن يصبح الهيكل آية من الله وبسبب ما اقترفه معشر يهود أثراً بعد عين.

١٤- لقد صرح جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب أن ما يسمى بالهيكل ما هو إلا أكذوبة، كما صرح الكاردينال اسطفانوس الأول بطريك الأقباط الكاثوليك في جريدة الأهرام المصرية يوم الجمعة ١٩٦٩/٨/٢٢- أي عقب إحراق اليهود للأقصى في ١٩٦٩/٨/١٢ الذي أدانه مجلس الأمن بالقرار رقم ٢٧١في ١٩٦٩/٩/١٥ مستنطقاً ما ذكرناه في الأسطر القليلة الماضية بأن إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى تحد لكل النبوات والكتب المقدسة، وأردف يقول: إذا كان اليهود لا يؤمنون بذلك فليرجعوا إلى التاريخ وليروا ما صنعه أجدادهم في عهد الإمبراطور جوليانوس الذي بنى على أنقاض مدينة القدس، إيلياء عام ٦٢ميلادية، حين حاولوا إعادة بناء هيكل سليمان فهبطت ألسنة النار وزلزلت الأرض وأزالت كل ما صنعوا .

سبحان الله إنها إذاً الإرادة الإلهية والانتقام الرباني ولا شيء غير ذلك، وعلى معشر يهود إن كان عندهم إيمان بذلك وبأسفارهم، أن يكفوا عن عبثهم بالمقدسات وألا يزيدوا بذلك وبسحل الأبرياء وبقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس والنساء والأطفال وإهلاك الحرث والنسل، من سخط وغضب الرب أكثر ما هو عليه الآن، وأن يسلموا بقضاء الله فيهم ويتمثلوا أوامره ويؤمنوا بخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم ويعترفوا له بالإمامة والريادة وموعود لله له ويوقنوا بألا نجاة لهم في الدنيا والآخرة إلا بذلك إن كانوا يريدون لأنفسهم نجاة

١٥- إن الفكرة الصهيونية السياسية التي نادى بها ليوبنسكر الطبيب اليهودي الروسي سنة١٨٨١م التي تنادى بوجوب تهجير اليهود من المجتمعات التي يعيشون فيها إلى إقليم يمتلكونه ليكوّن أمة يهوديةً، وتبعه فيها هرتزل الذي رشّح لتحقيق هذا الغرض أرض فلسطين باعتبارها الموطن الأصلي لهم، ولهم على حد زعمه الحق الشرعي في أن يعودوا إليه هذه الفكرة وإن أفلحت بفضل مسايرة الانتداب البريطاني لتدعيم هذا الاتجاه، إلا أنها حملت في طياتها الزيف والكذب والزور والبهتان ذلك أن الكثرة الغالبة من اليهود الذين نزحوا إلى فلسطين في العصور الحديثة لا يمتّون بأدنى صلة ليهود فلسطين القدماء، ومن ثم فليس لهم حق تحت أي مبرر فيما يغتصبونه من أراضي الغير إن صح الزعم بأن ليهود فلسطين حق شرعي أصلاً في تلك الأراضي المقدسة، سيما وأن أولئك النازحين ينتمون إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية في فترات متباينة عبر التاريخ، فقد كان من اليهود الذين طردهم الملك الكاثوليكي فرديناند من أسبانيا ليستوطنوا أرض فلسطين كثير من المواطنين الأسبان الذين تهودوا وانتشروا في إيطاليا وفرنسا والشرق الأوسط، ومثل ذلك يقال عن يهود طائفة الأشكيناز وهم يهود شرق أوروبا ووسطها

فهم أحفاد الخزر الذين عاشوا في جنوب روسيا واعتنقوا اليهودية في القرنين السابع والثامن الميلاديين، بل إن معظم الصهاينة أوربيون وليس هناك أي رابط عضوي بين أجداد هؤلاء جميعاً وبين الأسباط فأنى لقوم لا يمتّون لموطن بأدنى صلة أن يُخرجوا منه أهله بعد أن يهدروا دمه ويستحلوا باسم الدين العيش فيه على حساب من أخرجوهم من ديارهم بغير حق، وأي دين وأي عقل وأي منطق وأي قانون وأي شريعة باستثناء قانون الظلم وشريعة الغاب يرضى بهذا؟ والسؤال الذي يلح في فرض نفسه هو: لمَ لمْ يقم من تبنوا هذه الفكرة من الأوربيين والأمريكيين وغيرهم ممن تتقاطر قلوبهم شفقة ورحمة على أولئك الذين مزّقهم الله الرحيم بخلقه كل ممزق بعد أن قطعهم في الأرض أمماً وهاهم قد أتوا من كل حدب وصوب لمَ لا يقومون بهذا المعروف الذي لن ينساه لهم الرب ولا التاريخ فيقتطعون من بلادهم جزءاً يؤونهم فيه، ولن تعدم بريطانيا مقاطعة ولن تعدم أمريكا ولاية تفرغها لأولئك البؤساء المطرودين والضحايا المساكين، على الأقل ليوفروا على أنفسهم هذه الأموال الطائلة والجهود المضنية والإمدادات المكلفة التي يبعثون بها إليهم من أقصى البلاد ومن أدناها، وليست بلادنا بأسعد حظاً ولا أحسن حالاً من بلادهم فبلادهم رمز التقدم والحضارة، ومبعث الرقي والثقافة .

١٦- ومن الأمور الثابتة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوقف في أرض الخليل أول وقف وجعله للصحابي الجليل تميم بن أوس الداري وقد عرف هذا الوقف حتى الآن بالوقف التميمي نسبة إليه، كما أوقف الخليفة عمر بن الخطاب وقفاً آخر في جبل أبي غنيم للصحابي الجليل عياض بن غنم وقد عرف هذا الجبل ولا يزال باسمه، وعلى الرغم من أن الوقف الإسلامي لا يجوز أن يباع ولا أن يشترى إلا أن اليهود الذين يجيدون فنون التزوير والتزييف احتلوا هذه الأماكن وادعوها لأنفسهم

وقد تبرع اليهودي زيمسكوفيتش بـ ٦٠٠مليون دولار لبناء مستوطنة في جبل أبي غنيم ضارباً هو وقومه بكل القوانين والشرائع السماوية عرض الحائط، الأمر الذي أثار حفيظة علماء المسلمين في أنحاء المعمورة وكان من توصيات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية في ٢٢من ذي الحجة ١٣٨٩هـ الموافق ٢٨من فبراير ١٩٧٠م أن بيت المقدس وما حوله إنما هي أرض أوقاف أوقفها المتبرعون منذ القدم على مصلحة المسلمين ومن ثم فهي ملك للمسلمين جميعاً واغتصاب شبر منه تحت أي مبرر يفرض عليهم السعي لتحريره لاتفاق أهل العلم على أن شبراً ديس من أرض المسلمين بالمشرق وجب على أهل المغرب أن يسعوا لاسترداده، وأكدت التوصيات على أن الجهاد بالأموال والأنفس أضحى فرض عين وبما أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين كلهم يتحتم على المسلمين في كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم في الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال، ومن يتخلف عن تحمل أعبائه فقد سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين، لكن الخيانة من قبل حكام المسلمين الذين هادنوا أعداء الله ونصبوا حرابهم ضد المجاهدين حالت دون إتمام هذه الصفقة مع الله وأبت أنظمتهم ولا تزال إلا أن تسلك غير سبيل المؤمنين، فإلى الله وحده المشتكى وإنا لله وإنا إليه راجعون .

١٧- يضاف لكل ما ذكر من أدلة في عدم أحقية بني إسرائيل في القدس الشريف بما فيها ساحة المسجد الأقصى وما يدعونه من أمر الهيكل، أن كافة المنظمات الدولية تشهد بعدم أحقيتهم في أي من هذه الأراضي المقدسة وبالتالي عدم أحقيتهم في الاعتداء على أهلها ولا في إحداث أية تغييرات تحدث على الأرض ولعل أهم قرار اتخذه مجلس الأمن في هذا الشأن القرار رقم ٦٧٢في أكتوبر عام ١٩٩٠ الذي طالب فيه إسرائيل بصفتها قوة احتلال بالوفاء بمسئولياتها القانونية وأدان بالإجماع ارتكاب إسرائيل لأعمال العنف التي جرت ضد الفلسطينيين في ساحة المسجد الأقصى في ١٩٩٠/١٠/٨

وعندما رفضت إسرائيل تنفيذ القرار أصدر المجلس قراراً آخر برقم ٦٧٣ في ١٩٩٠/١٠/٢٤ أكد فيه إصراره على أن تمتثل إسرائيل للقرار السابق وفي هذا كله فضلاً عما سبق ذكره دلالة غير مباشرة من المجتمع الدولي على عدم وجود ما يدعيه اليهود من أمر الهيكل .

١٨- فإذا ما أضفنا أن أول من بنى مدينة القدس منذ ثلاثين قرناً قبل الميلاد هم اليبوسيون وهم من العرب القدامى على ما جاء التصريح به في سفر إرميا ٢٥: ٢٤ وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية، وسفر حزقيال ٢٧: ٢١ العرب وكل رؤساء قيدار في هذه كانوا تجارك، وسفر أخبار الأيام الأول ١١: ٤ وذهب داود وكل إسرائيل إلى أورشليم أي يبوس وهناك اليبوسيون سكان الأرض، وسفر أخبار الأيام الثاني ٩: ١٤ وكل ملوك العرب وولاة الأرض كانوا يأتون بذهب وفضة إلى سليمان، وسفر يشوع ١٥: ٦٣ وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم، وسفر القضاة ١٩: ١١، ١٢ وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبت فيها فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا، وعندما أراد داود أن يبني هيكلاً للرب في القدس قام بشراء البيدر الذي كان ملكاً لرجل يبوسي يدعي أرونة على ما جاء في سفر صموئيل الثاني ٢٤: ٢١-٢٥إلى غير ذلك مما يكشف من نصوص التوراة ذاتها عن حقيقة أن القدس (يبوس) مدينة العرب اليبوسيين وأنهم الذين أقاموها وتعاقب على حكمهم فيها ملوك العرب دون أن يشاركهم في سكنها أحد من بني إسرائيل وأنها كما وصفها سيد الغلام الإسرائيلي بالنسبة إليهما ولكل إسرائيلي من باب أولى مدينة غريبة.

١٩- وإذا أضفنا إلى كل ذلك أن الحفائر الأثرية التي جرت حول المدينة كشفت أنه في العصر البرونزي ٢٦٠٠-١٨٠٠ق م كانت المنطقة عامرة وما حولها باليبوسيين وأن الفتح الإسلامي جاء والمدينة خالية تماماً من اليهود لأنها كانت محرمة عليهم، وهم من بعد موسى ومن بعد الغزو البابلي والروماني، قد قطعهم الله في الأرض أمماً، ومزّقهم كل ممزق وأن وجودهم المتقطع على مدار هذه الفترة كان وجوداً طارئاً لم تقم لهم خلاله دولة، تأكد لنا عدم أحقيتهم لا في مدينة القدس فحسب بل ولا في أي شبر من أرض فلسطين وأصبح لزاماً على كل مسلم أن يضطلع بدوره في السعي الدائم لتظل هذه القضية ساخنة ومحور اهتمامه وفي عدم الرضوخ لما يسمى بسياسة الأمر الواقع وعدم المبالغة في وصف قوة العدو والإعداد له بكل ما أوتي من قوة ورفض التطبيع معه، وفي استشعار الهم واستثمار كل الطاقات لخدمة القضية وبث روح الأمل والتفاؤل وتمني الشهادة في سبيل الله والعمل على تربية جيل النصر المنشود، وأن يستحضر معنى ما جاء في قوله تعالى: فلا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المصير)،وقوله: (هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) بل وعرفنا أن ما فعله عمر عشية تسلم مفاتيح بيت المقدس حين اشترط عليه أهل إيلياء وأقرهم على ذلك بطريرك القدس ألا يسمح لليهود بدخولها أو الإقامة فيها، لم يأت من فراغ، وازداد يقيننا بوجوب أن يظل العهد العمري محترماً ومعمولاً به لأن المسلمين مأمورون بأن يتبعوا سنة الخلفاء الراشدين المهديين .

الباب السابع
تهويد القدس

تظل قضية تهويد القدس أحد أبرز الحروب التي تستهدف النيل من رموز الأمة القيمية والثقافية، وقد ارتبط ترسيم حدود بلدية القدس في العهد البريطاني بطبيعة الوجود اليهودي وتهويد القدس هو المحاولات المستمرة من قبل إسرائيل ومن قبل جيش الاحتلال من أجل نزع الهوية العربية الإسلامية التاريخية من مدينة القدس وفرض طابع مستحدث جديد وهو الطابع اليهودي.

وسائل تهويد القدس:

منذ أن قامت إسرائيل باحتلال مدينة القدس عام١٩٦٧ ، وهي تعمل جاهدة للسيطرة عليها وتغيير معالمها بهدف تهويدها وإنهاء الوجود العربي فيها، وقد استخدمت لأجل ذلكلكثير من الوسائل وقامت بالعديد من الإجراءات ضد المدينة وسكانها، حيث كان الاستيطان في المدينة والأراضي التابعة لها أحد أهم الوسائل لتحقيق هدف اليهود الأساسي تجاه مدينة القدس.

الاستيطان ومصادرة الأراضي:

سعت إسرائيل خلال العقود الماضية إلى استكمال مخطط الاستيطان الهادف للسيطرة الكاملة على مدينة القدس، حيث عمل على تحقيق ذلك من خلال توسيع ما يسمى بحدود القدس شرقاً وشمالاً، وذلك بضم مستوطنة معاليه أدوميم التي يقطنها حوالي ٢٠ ألف نسمة، كمستوطنة رئيسية من الشرق، إضافة إلى المستوطنات العسكرية الصغيرة مثل عنتوت، ميشور، أدوميم، كدار، كفعات بنيامين من الجهة الشرقية، وكخاف يعقوب، كفعات زئييف، كفعات حدشا، كفعات هاردار من الشمال مما أدى إلى مضاعفة عدد المستوطنين.

وفي نفس الوقت قللت نسبة السكان العرب الفلسطينيين الذين يشكلون ثلث سكان القدس أي حوالي ٢٢٠ ألف نسمة بما فيها الجزء المضموم ٣٨٠ ألف نسمة، مع العلم أن عدد المستوطنين في القدس الشرقية يساوي عدد المستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة ١٨٠ ألف مستوطن وتنتشر المستوطنات في لواء القدس على شكل تجمعات استيطانية مكثفة تتخذلشكل دائري حول المدينة وضواحيها ممثلة فى مراكز استيطانية كبيرة المساحة وحدود بلدة)القدس الغربية تم بشكل رسمي توسيعها وعملياً تم الاستيلاء على ٧٢ كم مربعاً بقرارات مختلفة وبتقييد التمدد العمراني في القدس وتحويل المناطق إلى مستوطنات يهودية كما حدث مع جبل أبو غنيم.

الآثار المترتبة على الاستيطان اليهودي في القدس وضواحيها:

ولا شك في أن لعملية الاستيطان اليهودية في القدس وضواحيها آثار كبيرة على السكان الفلسطينيين يمكن إجمال هذه الآثار فى النقاط التالية:

مصادرة آلاف الدونمات من الأراضي التابعة للقرى التي أقيمت عليها المستوطنات.

تطويق التجمعات السكنية الفلسطينية والحد من توسعها.

تهديد بعض التجمعات السكانية الفلسطينية بالإزالة.

إبقاء فلسطيني القدس وضواحيها العزل في حالة خوف ورعب دائمين، من خلال الاعتداءات المتكررة من قبل المستوطنين المدججين بالسلاح.

عزل مدينة القدس وضواحيها عن محيطها الفلسطيني في الشملا والجنوب.

فصل شمال الضفة عن جنوبها، والتحكم في حركة الفلسطينيين بين الشمال والجنوب.

قطع hالتواصل الجغرافي بين أنحاء الضفة الغربية وتقسيمها إلى بقع متناثرة والحيلولة بالتالي دون إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة.

هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم مكانه.

تهجير الفلسطينيين وسحب الهويات منهم:

تعتبر سياسة تهجير الفلسطينيين من مدينة القدس أحد الوسائل المعتمدة لدى دولة الاحتلال الإسرائيلي من أجل خلق واقع جديد يكون فيه اليهود النسبة الغالبة في مدينة القدس، وقد وضعت الحكومات المتعاقبة لدولة الاحتلال مخططات من أجل ذلك، نتبين ذلك من خلال :

التصريحات التي أعلنها رئيس الوزراء شارون بمناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لاحتلال القدس الشرقية،والتي واصل فيها أكاذيبة بالإعلان عن أن القدس ملك لإسرائيل وأنها لن تكون بعد اليوم ملكا للأجانب.

ما أعلنه شيمون بيريزمن بضرورة التهجير الجماعي للفلسطينيين من مدينة القدس و يقدر عددهم بنحو ٢٤٠ ألف مواطن.

بيان صادر عن مجلس وزراء دولة الاحتلال بعنوان خطة تنمية القدس تضم تنفيذ مخطط استيطاني جديد يشمل هدم ٦٨ مسكناً فلسطينياً وتشريد ٢٠٠عائلة من سكانها بحي البستان في بلدة سلوان.

كما يشمل تنشيط المنظمات اليهودية المتطرفة لجذب أموال اليهود الأمريكيين من الأثرياء لشراء ممتلكات في القدس في صفقات مشبوهة.

مشروع قرار مجلس الشيوخ الأمريكي الذي يشترط الاعتراف بمدينة القدس عاصمة موحدة لإسرائيل مقابل الاعتراف بالدولة الفلسطينية مستقبلاً، بهذه الإجراءات تحاول ة إسرائيل باستماتة فرض الأمر الواقع على الأرض، وإدخال قضية القدس هذه المرحلة الخطيرة، كما تشكل هذه الإجراءات انتهاكاً صارخاً للقرارات والقوانين الشرعية الدولية، حيث ينص قرار مجلس الأمن ٢٤٢ على أن القدس الشرقية والضفة الغربية والقطاع، ضمن الأراضي العربية المحتلة عام١٩٦٧ مما يقتضي عودة إسرائيل إلى حدودها، وهو ما شملته أيضا رؤية بوش وخريطة الطريق والمبادرة العربية.

كما عملت حكومات الاحتلال الإسرائيلي المتعاقبة على تنفيذ توصية اللجنة الوزارية لشؤون القدس لعام ١٩٧٣ برئاسة جولدا مائير و تقضي بأن لا يتجاوز عدد السكان الفلسطينيون في القدس ٢٢٪ من المجموع العام للسكان، لذلك لجأت سلطات الاحتلال إلى استخدام الكثير من الأساليب لتنفيذ هذه الوصية التي كان آخرها سحب الهويات من السكان العرب في القدس.

المساندة الدولية الموقف الأمريكي نموذجا:

في إطار الدعم الأمريكي للاحتلال الإسرائيلي، يحاول الأمريكان جاهدين فرض سياسة الأمر الواقع على مدينة القدس كعاصمة موحدة للكيان الإسرائيلي ويتبين ذلك من خلال جملة من الخطوات التي تم اتخاذها أهمها:

نجحت لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية إيباك، إحدى جماعات الضغط الإسرائيلية في الولايات المتحدة في دفع أحد رجال الكونجرس إلى تقديم مسودة مشروع قرار يطالب بالاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل لا تقبل التقسيم .

يشمل مشروع القانون الذي تقدم به السيناتور براودنباك في ١٩/٤/٢٠٠٥ الآتـي:

أ -يجري تداول مشروع في مجلس الشيوخ والكونجرس يدعو للاعتراف بالقدس كعاصمة غير مقسمة لإسرائيل قبل ١٨٠ يوما من اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية.

ب -تشريع مشترك: من أجل توفير الاعتراف بالقدس كعاصمة غير مقسمة لإسرائيل قبل اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية ولغايات أخرى، فإن الكونجرس الأمريكي يقرر:

الجزء الأول : هذا التشريع المشترك يمكن تسميته بتشريع القدس.

الجزء الثاني :توصل الكونجرس إلى النتائج المغلوطة التالية:

انت القدس عاصمة الشعب اليهودي لأكثر من ٣ آلاف عام.

لم تكن القدس أبدا عاصمة لأي دولة أخرى غير الشعب اليهودي.

القدس مركزية لليهودية وقد ذكرت في التوراة ٧٦٦ مرة.

لم تذكر بالاسم في القرآن.

القدس هي مقر الحكومة الإسرائيلية بما فيها الرئيس والبرلمان والمحكمة العليا.

ينص قانون الولايات المتحدة الأمريكية على أن سياسة الولايات المتحدة هي أن القدس يجب أن تكون العاصمة غير المقسمة لإسرائيل.

لكل دولة الحق في تحديد عاصمتها .

إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي لا تقيم فيها الولايات المتحدة سفارة في المدينة المعلنة كعاصمة ولا تعترف بالمدينة كعاصمة.

يجب السماح لمواطني إسرائيل بحرية العبادة طبقاً لتقاليدهم.

تدعم إسرائيل الحرية الدينية لجميع المعتقدات.

يعبر نقل السفارة الأمريكية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس عن دعم الولايات المتحدة المتواصل لإسرائيل وللقدس غير المقسمة.

الجزء الثالث : يتم نقل موقع سفارة الولايات المتحدة في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس في مدة لا تزيد عن ١٨٠ يوماً قبل الاعتراف بالدولة الفلسطينية.

الجزء الرابع: الاعتراف بالقدس غير المقسمة عاصمة لإسرائيل حيث لن تعترف الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية حتى قيام المجتمع الدولي بحل وضع القدس بالاعتراف بالمدينة على أنها العاصمة غير المقسمة لإسرائيل.

الجزء الخامس: موقف الكونجرس من حرية العبادة يتمثل موقف الكونجرس من وجوب السماح لمواطني إسرائيل كحق أساسي من حقوق الإنسان المعترف بها من الولايات المتحدة، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ الصادر في ٢٩نوفمبر ١٩٤٧ بالعبادة بحرية وطبقا لتقاليدهم.

إصدار القوانين:

قانون التنظيم والتخطيط حيث كان من الأساليب المبتكرة لسلطات الاحتلال من أجل تهويد مدينة القدس إصدار ما يسمى بقانون التنظيم والتخطيط، الذي انبثق عنه مجموعة من الخطوات الإدارية والقانونية المعقدة والتعجيزية في مجالات الترخيص والبناء، بحيث أدى ذلك إلى تحويل ما يزيد على ٤٠٪ من مساحة القدس إلى مناطق خضراء يمنع البناء للفلسطينيين عليها، وتستخدم كاحتياط لبناء المستوطنات كما حدث في جبل أبو غنيم، وقد دفعت هذه الإجراءات إلى هجرة سكانية عربية من القدس إلى الأحياء المحيطة بالمدينة نظراً إلى سهولة البناء والتكاليف.

وفي عام ١٩٩٣ بدأت مرحلة أخرى من تهويد القدس، وهي عبارة عن رسم حدود جديدة للمدينة القدس الكبرى المتروبوليتان، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها ٦٠٠ كم ٢أو ما يعادل ١٠٪ من مساحة الضفة الغربية لتبدأ حلقة جديدة من إقامة مستوطنات خارج حدود المدينة هدفها الأساسي التواصل الإقليمي والجغرافي بين تلك المستوطنات لإحكام السيطرة الكاملة على مدينة القدس.

قانون منع الأذان عبر مكبرات الصوت:

في شهر نوفمبر٢٠١٦ ، أقرت لجنة وزارية إسرائيلية خاصة مشروع قانون لمنع رفع الأذان عبر مكبرات الصوت في مساجد القدس والمناطق القريبة من المستوطنات وداخل الخط الأخضر وبعد المصادقة على القرار، قامت السلطات الإسرائيلية باقتحام عدة مساجد في مدينة القدس ومنعت المؤذنين من رفع الأذان عبر مكبرات الصوت وبحسب إحصاءات تقديرية، فإن الحظر سيطال نحو ٦٠٠ مسجد في مناطق القدس والخط الأخضر.

مراحل تهويد القدس منذ ١٩٦٧ وحتى الآن:

منذ أن وطئت قدما إسرائيل أرض فلسطين لاغتصابها عام ثمانية وأربعين- بعدما منحها الانتداب البريطاني ذلك في وعده المشؤوم بلفور عام١٩١٧ م، وعمليات الاعتداءعلى المقدسات الإسلامية بما فيها القدس المحتلة تتوسع وتتخذ أشكالاً عدة، دون حسيب لها أو رقيب؛ وبالرغم من كل المحاولات والمخططات الإسرائيلية لتهويد القدس العربية منذ وقوعها تحت الاحتلال الإسرائيلي -لم يستطع المحتلون الإسرائيليون السيطرة إلا على نسبة تقارب الـ ٪٢٠من مساحة القدس القديمة، في حين أن الـ ٪٨٠ الباقية ملكية عربية فلسطينية، وإن الاحتلال يفرض سيطرته عليها بالقوة العسكرية فقط وبالتالي، تبقى السيادة للشعب الفلسطيني؛ المالك الحقيقي للعقارات والأراضي في المدينة، كما أن المقدسات فهي تخضع لجهات فلسطينية، وفقًا لدراسة أعدها موقع وحدة القدس.

لكن ومنذ عام ٦٧ وحتى الآن فإن اعتداءات الاحتلال على القدس المحتلة وسكانها، كانت الأعنف، بعدما أقدمت قوات الاحتلال لأول مرة على اقتحام المسجد القبلي، وهي مدججة بالسلاح وداست بنعالها سجاد المسجد ووصلت حتى منبر صلاح الدين الأيوبي، فضلاً عن الضرب المبرح الذي تعرض له المرابطون داخل باحات الأقصى.

الباب الثامن
زوال إسرائيل

وعد الله بزوال إسرائيل:

قال تعالى في سورة الإسراء(سورة بني إسرائيل): سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ{١}وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً{٢}ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا{٣}وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا{٤}فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً {٥} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا{٦} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا {٧} عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا {٨}.

يخبرنا الله أن اليهود سيسيطرون على الأرض مرتين: الأولى هي الآن وقد شارفت على الانتهاء على يد المسلمين والثانية تكون على يد المسيح الدجال. لسورة الإسراء اسم توقيفي آخر هو سورة بني إسرائيل، و قد بدأت بالحديث عن إسراء الرسول r من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، ثم أشارت إلى البركة التي جعلها الله في المسجد الأقصى وما حوله، ثم انتقلت مباشرة انتقالاً تاريخياً من الرسالة الإسلامية إلى رسالة موسى نبي بني إسرائيل ، وإلى التوراة و ما كلف الله بني إسرائيل فيها وأخبرتنا عن إفسادين كبيرين مقترنين بالعلو الكبير يقعان على أيدي اليهود، و أطلعتنا على وضع اليهود في كل منهما، وحدّدت ملامح العباد الربانيين، الذين يزيلون الإفسادين اليهوديين، وكان تركيزها على الإفساد الثاني اليهودي أكبر.

إن الله يريد تعريفنا على طبيعة صراعنا مع اليهود، وهو صراع بين رسالتين: رسالة الحق التي يمثلها المسلمون، ورسالة الباطل التي يمثلها اليهود.

مفهوم البركة حول المسجد الأقصى:

قال أكثر المفسرين في قوله تعالى: المسجد الأقصى الذي باركنا حوله أن البركة تشمل بلاد الشام بأكملها قال زهير بن محمد التميمي: إن الله تبارك وتعالى، بارك ما بين العريش والفرات وفلسطين، وخَصّ فلسطين بالتقديس وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة المتواترة بمجموعها أن أرض الشام هي مقر الطائفة المنصورة المجاهدة قال رسول الله: لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ يَرْفَعُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَ يَرْزُقُهُمُ اللهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَلا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ والْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وعن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ، قالت: يا نبي الله افتنا في بيت المقدس فقال أرض المحشر والمنشر وقال كذلك الشام أرض المحشر والمنشر.

عليها قُصِم الرّومان والفرس والصليبيون والتتار، وعليها سيقصم الله اليهود ويدمر كيانهم، وعليها سيقتل الله المسيح الدجال وعليها سيبيد الله جحافل يأجوج ومأجوج وهي مباركة بركة سياسية، فهي أرض الابتلاء والامتحان، وهي أرض الكشف والفضح، هي التي تكشف الخونة، وتفضح العملاء والرايات والشعارات والدعوات.

نبوءة القرآن:

قال تعالى في آخر السورة عن الإفساد الثاني وقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوْ الأَرْضَ، فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا وهم يعلمون هذه النبوءة بالتفصيل ثم تذكّرهم بأن أجدادهم كانو صالحين ولم يقل الله ذرية نوح و إنما قال ذرية من حملنا مع نوح ليؤكد على أن أجدادهم كانو من الصالحين الذين أنجاهم الله، وهم أيضاً من ذرية نوح الذي كان صالحاً ثم يذكر الله أنه سيسمح لبني إسرائيل بأن يحكمو الأرض مرتين فلو قال كتبنا على بني إسرائيل لكان فيه إجبار لهم على ذلك ولكنه قال وقضينا إلى بني إسرائيل، فمعناه أنه سيهيئ لهم ظروفاً تسمح لهم بالسيطرة على الأرض مرتين، أي أنه شاء ذلك ويخبرنا الله أنهم سيفسدون في الأرض، فلا من فساد اليوم أو فتنة أو حرب أو خراب إلا كان اليهود من ورائه، وقد عَلَو في الأرض واستبدو فيها وقد شارفت هذه المرحلة على الانتهاء ثم سيبعث الله المسلمين عليهم فينتصر المسلمين ويستولون على المسجد الأقصى، لأن الله قال عند انتهاء المرة الثانية ليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، فيكون أن اليهود سيستولون على المسجد الأقصى في المرتين ثم يحرره المسلمون منهم بعد كل مرة وإن زوال إسرائيل وعد قرآني قاطع وكان وعداً مفعولاً و تظهر الخلافة الراشدة مرة أخرى ثم يظهر المهدي فيقود المسلمين للنصر على الروم النصارى في حرب تسمى بالملحمة الكبرى ثم يظهر المسيح الأعور الدجال فينقاد له اليهود ويتبعه البدو الجهلاء ويفتن كثير من النساء وهنا يتفوق اليهود على المسلمين مالاً وعدداً وعدة لما يلحق بهم من سائر الأمم ويحتلون المسجد الأقصى ثم ينزل الله المسيح عيسى بن مريم في دمشق واليهود محاصرون لها، فيُهزم الدجال ويقول الحجر والشجر يا مسلم ورائي يهودي فاقتله فيقتل المسلمون اليهود كلهم، فيدخل الناس كافة فى الإسلام ويعم السلام بالأرض ويدوم المسيح فى الأرض أربعين سنة.

ومع الآيات فى تفسير مختلف عما ذكره السابقون :

إذا ظرف لما يستقبل من الزمان، أي أن المجيء يأتي بعد نزول آيات الإسراء المكية، وبالتالي فإن عباد الله الربانيين سيكونون أيضاً بعدها. بعثنا عليكم :كلمة بعثنا توحي أن مجيء هؤلاء الربانيين لم يكن متوقعاً. و من يتوقع اليوم أن يحرر المسلمين القدس بعد بضع سنين؟!

عباداً لنا :هذه الجملة لا تنطبق إلا على المسلمين لأن الله سماهم عباداً و أضافهم إليه فى قوله لنا فكلمة عباد لا تنطبق على الكافرين السابقين الذين نسب لهم المؤرخون إزالة الإفسادين مثل بختنصر وغيره وهناك فرق بين كلمتي عباد وعبيد ، فكلمة عبيد ذُكرت في القرآن الكريم خمس مرات في الكلام عن الكفار ومعظمها بصيغة وما ربك بظلام للعبيد فالله يحاسب الكفار بعدله أما كلمة عباد فمذكورة خمساً وتسعين مرة منها أكثر من تسعين مرة عن المؤمنين فالألف في هذه الكلمة توحي بالعزة و الكرامة وهي صفات المسلم.

أولي بأس شديد :وهذه صفة المؤمنين المجاهدين الصابرين ولن يهزم إسرائيل اليوم والدجال غداً إلا هؤلاء وإذا علمنا أن إفساد اليهود الثاني سيكون بقيادة الأعور الدجال وسيقضي عليه المسلمين بقيادة المسيح بن مريم كما ورد في الحديث الصحيح فهذه دلالة قطعية على أن المسلمين هم الذين سيقضون على الإفساد الأول فالله تعالى يقول ثم رددنا لكم الكرة عليهم، ولم تكن لليهود كَرَّةً على الأقوام السابقين الذين حاربوهم. فجاسوْ خلال الديار: الجوس هو التردد ذهاباً وإياباً وهذا كناية عن القوة والبطش عند الغزاة المسلمين وأمددناكم بأموال وبنين: أي أن قوة اليهود ليست ذاتية بل خارجية، أمدهم الله بها ليقضي عليهم، ويتم بوسيلتين هما الأموال والبنين، وهذا ما جاء في الأحاديث الصحيحة المتواترة من كثرة عدد أنصار الأعور الدجال ملك اليهود المنتظر وقوة أسلحتهم ومددهم وهذا من عظيم فتنة الدجال.

وجعلناكم أكثر نفيراً: أي أن الله عز وجل سيجعل لليهود أعواناً ومؤيدين كما لم يجعل لأحد في التاريخ، إذ لن تبقى أمة كافرة إلا وتتبع الدجال ملك اليهود فأي نفير أكبر من هذا؟

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم و إن أسأتم فلها وهذا رد على زعم تفرد اليهود على البشرية، وتفضيلهم على باقي الناس، فهي أوهام اخترعوها ولا أساس لها وهذا هو الإفساد الأخير لليهود تحدث القرآن عن الإفساد الثاني لليهود بقوله فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءو وجوهكم[وبقوله]فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً[فكلمة الآخرة لا يراد بها يوم القيامة، بل هي الثانية التى بعد قوله]فإذا جاء وعد أولاهما[أي المرة الأولى، والآخرة أي المرة الثانية في الإفساد، وتدل على أنه سيكون الإفساد الأخير.

جئنا بكم لفيفاً :لقد مضى على اليهود أكثر من قرن وهم يأتون ملتفين في هجرات متتابعة إلى فلسطين، ولن يتوقف ذلك حتى يتم تجميع كل اليهود في هذه المنطقة تمهيداً للقضاء عليهم وقد جاء في الإسرائيليات أن الأعور الدجال لن يظهر حتى يتجمع اليهود من كل أنحاء العالم في فلسطين ويعاديهم العالم كله فيأتي الدجال لينصرهم.

اليهود والمسيح الدجال : سيظهر الدجال وهو يهودي في آخر الزمان مِنْ خَلَّةٍ بين الشام والعراق فيتجه لإيران فيخرج له من أصفهان وحدها سبعون ألف يهودي ويُجري الله على يديه الكثير من الأمور الخارقة ليزيد من فتنته، فيجتمع وراءه خلقٌ عظيمٌ كثيرٌ عامته من اليهود والنساء والأعراب أما العرب يومئذٍ فهم قليلٌ بسبب أنهم خارجين من ملاحم وحروب شديدة مع الروم، وإمامهم هو محمد بن عبد الله من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب فينزل عليهم عيسى بن مريم فيصلي خلف المهدي ثم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدعو للإسلام أو الحرب.

ثم إنه يقتل الدجال عند باب لُدِّ الشرقي، فيهزمُ الله اليهود وسيقضي المسلمون على كل يهودي تحقيقاً لقول الرسول:لاَ تَقُومُ السّاعَةُ حَتّىَ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتّىَ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيّ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَ الشّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ! هَذَا يَهُودِيّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلاّ الْغَرْقَدَ، فَإِنّهُ مِنْ شَجَرِهم.

وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة : يعود ضمير الفاعل في ليدخلو على الفاعل في ليسوءو فالذين يسوءون وجوه اليهود هم الذين يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة، والمراد بالمسجد هنا المسجد الأقصى، وهم المسلمون الذين دخلوه فاتحين أول مرة عندما حرروه من الرومان في خلافة عمر بن الخطاب وتم لهم فتح الشام ونشر الإسلام فيه فالمعركة عند الإفساد الثاني بين اليهود والمسلمين ستكون معركة إسلامية إيمانية، وليست معركة قومية أو يسارية أو إقليمية وليست معركة فلسطينية أو عربية أو غير ذلك.

الحجر والشجر يقول يا مسلم! يا عبد الله! لا يقول يا قومي ويا ناصري ويا شيوعي ويا نصراني ويا فلسطيني ويا عربي ففلسطين لن تحرر لا في المرة الأولى ولا في الثانية حتى تصبح راية الجهاد إسلامية خالصة، وتكون العصبية الإسلامية هي المسيطرة تماماً على قلوب العِباد الفاتحين. وليتبّروْ ما علَوْ تتبيرا: أي يدمّرون، ويهلكون، ويُفتّتُونَ كل ما يسيطرون عليه، إهلاكاً، و تدميراً، وتفتيتاً وذلك يوحي بأن المقاومة ستكون شديدة تؤدّي إلى رد فعل أشد وما تدلّ على العموم و هي بمعنى كل والضمير في عَلَو يرجع إلى المسلمين.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَ أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا] فهي بشرى قرآنية للمؤمنين وإنذار لبني إسرائيل الذين يؤمنون بالله بوجه من الوجوه، ولكنهم لا يؤمنون بالآخرة فالعهد القديم لا تجد فيه نصّاً صريحاً بذكر اليوم الآخر.

والنبوءة قد تورث الكسل والتقاعس لضعيف الإيمان أما المؤمن الحقيقي فالنبوءة ترفع همته ولا تزيده إلا تصميماً على العمل فعندما حاصرت أحزاب الشرك المدينة أشاع المنافقون أن المدينة ستسقط و صارو يحبطون العزائم، حتى بلغت القلوب الحناجر، و حتى ظن الصّحابة بالله الظنون، فجاءتهم البشرى من الرسول المصطفى: اللهُ أكبر! أُعطيتُ مفاتح كِسْرى الله أكبر! أُعطيتُ مفاتح قيصر، فاجتثت اليأس من قلوبهم و دفعتهم للعمل ولم نسمع عن واحد منهم جلس في بيته و تقاعس عن الجهاد حتى يأتي نصر الله فالإنسان يجب أن يتحرك بين قطبي الخوف و الرجاء فلا هو باليائس]إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ ولا هو بالآمن:]فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ[.

نبوءة رقمية بفناء إسرائيل:

وفي التالي بحث للشيخ بسام الجرّار نورده للاستئناس فقط، فالأرقام ليست حجة قاطعة كما هي النبوءة الواضحة التي نراها بالسورة وهذا ليس من ضرب التنجيم كما يظن البعض، إنما هو نوع من أنواع التأويل الشرعي فالنبوءات أحياناً تأتي على صورة رمز يحتاج إلى تأويل كما حصل في الرؤى الصادقة كرؤيا يوسف ومع ذلك يبقى الأمر مجرد احتمال ظني ليس له دليل يقيني

١) هناك وجود بناء رياضي معجز يقوم على الرقم (١٩)ويتكرر بتواتر في العلاقة بين الشمس والقمر والأرض و قد ذكره الله تعالى بقوله]عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ[.

٢) نقل بعض الحاخامات، نقلاً عن توراتهم أن دولة إسرائيل هذه ستعمر (٧٦) سنة هجرية (x٤١٩) أي تنتهي عام (١٤٤٣هـ) = ٢٠٢٢م.

٣) عدد الكلمات النبوءة من بداية]وآتينا موسى الكتاب حتى فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً[يساوي ١٤٤٣ كلمة وهو نفس الرقم: (١٣٦٧هـ قيام إسرائيل + ٧٦ عمرها = ١٤٤٣).

٤) زمن حادثة الإسراء ٦٢١م قبل الهجرة بسنة، ونهاية إسرائيل كما في السابق ١٤٤٣هـ فإن الزمن من الإسراء إلى نهاية إسرائيل يساوي ١٤٤٤ وهو (١٩x٧٦).

٥) عندما توفي سليمان ، انقسمت الدولة إلى: إسرائيل في الشمال ودمرت عام ٧٢٢=(١٩٣٨x) ق.م بعد أن حكمها ١٩ ملكاً، و يهوذا في الجنوب و قد دمرت عام ٥٨٦ ق.م و قد حكمها أيضاً ١٩ ملكاً فهل سيكون عمر إسرائيل ١٩ عشر كنيست؟! (٧٦٤=١٩x).

٦) سورة يوسف تتحدث عن نشأة بني إسرائيل وعدد آياتها ١١١ آية، وسورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل تتحدث عن آخر وجود لبني إسرائيل في الأرض المباركة أيضا آياتها ١١١ آية ولا يوجد سورة في القرآن الكريم آياتها ١١١ آية وتنتهي كلمات سورة الإسراء بكلمات مثل وكيلا، شكوراً، ، لفيفاً، وهكذا فإذا حذفت الكلمات المكررة يبقى ٧٦ كلمة –و هو عمر إسرائيل- (١٩٤x).

٧) ومذنب هالي المرتبط بعقائد اليهود له دورة مدتها ٧٦ سنة بداية الدّورة لهذا المذنب عندما يكون في أبعد نقطة عن الشمس، وتسمى نقطة الأوج ويراه أهل الأرض عندما يكون في أقرب نقطة من الشمس وتسمّى نقطة الحضيض هذا المذنب بدأ دورته عام ١٩٤٨ عندما كان في نقطة الأوج وسيكمل دورته عام ٢٠٢٢.

٨) حساب الجُمَل عرف عند اليهود والعرب قبل الإسلام، ووظفه بعض المسلمين في تاريخ الأحداث مع أنه لا يعتمد إسلامياً فإذا حسبت الآية]فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا[يكون المجموع وفق حساب الجمل (٢٠٢٢).

٩) تنبأ مناحيم بيجين عندما أعلن في ذروة النجاح الإسرائيلي الظاهري في الحرب في لبنان عام ١٩٨٢ أن إسرائيل ستنعم بما نصت التوراة بمدة سنوات السلام الأربعين إسرائيل اجتاحت لبنان عام ١٩٨٢+ ٤٠=٢٠٢٢.

مخطط زمني لعمر إسرائيل:

إننا نستطيع أن نستنتج مما سبق أن إسرائيل لن تعمر إلا ٧٦ سنة إن شاء الله تبارك وتعالى، ولا نجزم بالأرقام وهذا يعني أنها ستنتهي نهائياً عام ٢٠٢٢فمما سبق نستنتج المخطط الزمني التالي:

· بدأت دولة إسرائيل عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨ م)، وبدأ معها الإفساد و العلو الأول.

· تنهزم إسرائيل أمام جيوش المسلمين (وهذا لا يعني بالضرورة نهاية دولة إسرائيل بشكل كامل) ويدخل المسلمون للمسجد الأقصى للمرة الأولى.

· بعد ذلك تبدأ الملحمة الكبرى بين المسلمين (ويحكمهم إمامهم المهدي) من جهة، وبين الروم النصارى.

· يخرج الأعور الدجال (وهو المسيح عند اليهود و المهدي عند الرافضة) فيقود اليهود لأكبر فساد في الأرض منذ زمن آدم.

· يقتل المسيح بن مريم المسيح الدجال ثم يُسلـَّط المسلمون على اليهود، فيقول الحجر يا مسلم ورائي يهودي فاقتله و يدخل المسلمون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة، وهذه نهاية اليهود في الأرض.

أهم المصادر والمراجع

القدس مدينة الله العلي - أ د ليلى إبراهيم أبو المجد.

القدس عربية منذ فجر التاريخ -د إحسان هندي .

القدس : عروبتها وإسلاميتها – د. عبد الجليل عبد المهدي .

الأصالة الإسلامية في عمارة القدس وزخارفها .

القدس تاريخياً ودينياً ــ أحلام الترك .

جذور الوطنية الفلسطينية -محمد مصلح.

تاريخ فلسطين القديم - ظفر الإسلام خان.

القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث -تأليف كارني آرمسترونج .

الموجز في تاريخ فلسطين السياسي -تأليف الياس شوفاني.

القدس الخالدة في الوثائق المصرية القديمة والأكدية ، والكتاب المقدس للأستاذ الدكتور عبد الحميد أحمد زايد .

مدينة القدس في النصوص المصرية القديمة خلال عصر الدولة الحديثة – د. فايزة محمود صقر أن أسمها أورشومو.

معجم بلدان فلسطين -محمد محمد شراب .

قدسية القدس في الإسلام: حواء لاتسروس.

القدس- دراسات في تاريخ المدينة- يهوشواع بارفر.

القدس فى القرون الوسطى - ياد يتسحاق بن تسفي .

القدس في الفترة العربية - جويتاين شلودوف،.

في كتاب القدس -أمنون كوهين .

القدس ومكانتها لدى المسلمين، وانعكاس ذلك من خلال كتب التراث- د. عفيف عبد الرحمن.

المسجد الأقصى في الإعلام الإسرائيلي- زياد أبو زيّاد.

تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، ولمحة عن تاريخ القدس- عارف العارف.

فضائل البيت المقدس: أ. حسون الواسطي، أبي بكر محمد بن أحمد، (محقق).

الاستشراق، المعرفة- السلطة- الإنشاء لإدوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب.

معجم المصطلحات الصهيونية- أفرايم ومناحم تلمي- ترجمة: أحمد بركات العجرمي.

موسوعة المستشرقين -عبد الرحمن بدوي

الأعلام - الزركلي .

الإسلام والصليبيات عمانويل سيفان.

الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل- إبراهيم عبد الكريم.

المركز القانوني الدولي لمدينة القدس - د. جعفر عبد السلام.

قبل أن يهدم الأقصى -عبد العزيز مصطفي.

المزاعم الصهيونية حول الهيكل الثالث - دكتور صالح حسين سليمان الرقب.

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - د. عبد الوهاب المسيري.

فرية الهيكل من أهم الأخطار المحدقة بالأقصى - الشبكة الإسلامية .

الهيكل الثالث مؤامرة جديدة لهدم الأقصى – مجدي نور الدين .

المسجد الأقصى هل أقيم حقيقة علي أنقاض هيكل سليمان- محمد عزت الطهطاوي .

إسرائيل ركيزة الاحتلال بين المسلمين- د. حسن ظاظا .

محمد بني الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن - محمد عزت الطهطاوي .

معالم التاريخ الإسلامي المعاصر - أنور الجندي .

اليهود أنثروبولوجيا- فيلكس فون لوشان.

موسوعة مصر القديمة – سليم حسن.

تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - محمد عزة دروزة.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري .

مستقبل القدس في ظل التسوية السلمية -محمد الأزعر.

الوضع القانوني لمدينة القدس ومواطنيها العرب - أسامة حلبي .

مايكل سافير، مستقبل القدس :رؤية كوزموبوليتانية.

فهرس الكتاب